رواية

لوحة الموت

محمد منصور سرحان

ضياء
t.me/twinkling4

الطبعة الأولى

بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND
PUBLISHING AND DISTRIBUTION

إلى جميع ضواري هذا العالم

جميع الحقوق محفوظة لدا: مكتبة ضَـاد، الإلكترونية. ©

تمَ تجهيز هذه النسخة بواسطة:

أشرف غالب.

تأكد من أنك تقرأ هذه الرواية من قناة ضـاد الرسمية على تطبيق تيليجرام:

تمّ تجهيز هذا الكتاب الإلكتروني
بـواسـطـة:

لجميع الكتب، المجانية والمدفوعة،
وكل ما تشتهيه قريحتك الثقافية.

«لا أستطيع أبدًا أن أكشف للناس عمّا يجول بخاطري من أفكار بشكل كافٍ، حتى لا يبتعدوا عني هلعًا ورعبًا»

فرانز كافكا

1

الجانب المظلم

منزل الرسام سمير/ الساعة الحادية عشرة مساءً. . .

ضحك سمير- ذو الأربعين عامًا - للمرة الثانية وقد زادت حمرة وجهه الأبيض حليق اللحية والشارب، وهو يرفع بيديه اللتيْن جفت عليهما بعض الألوان الزيتية خصلات شعره كحركة لاشعورية حين يضحك: «يا لهذه الفكاهة يا ناصر!، أنا لم أضحك منذ زمن بهذه الصورة، كم تتقن تقليد الأصوات يا صديقي!».

ابتسمَ المحقق ناصر وهو يحك لحيته السوداء الخفيفة، بيده السمراء: «لديَّ المزيد إن أحببت، الضحك يرفّه عن النفس ويساعد على نسيان الهموم، أنا أكون فكاهياً معك أنت فقط يا صديقي، فكما تعلم عملي كمحقق في الجرائم بنى شخصيتي على الجدية بصورة مبالغ فيها، ومع ذلك فإنّي أنسى كل تلك الشخصية الجادة معك».

مال سمير بجسده النحيف نحو ناصر وهو يعدل من جلسته على الكرسي الوردي الوثير- لقد كان أثاث منزل سمير نادرًا نوعًا ما، ومختلفاً أشد الاختلاف عن المألوف، فطبيعته كفنان تتحكم في اختياره لأثاث منزله الذي يُعتبر من المنازل العصرية الحديثة، ودائمًا ما يبهر أصدقاءه بما لديه من تحف بخاصة بعد رجوعه من الرحلات الخارجية، وبحكم أنّه أعزب كان يُرتب الأثاث بصورة غريبة وعشوائية، وقد كان خلّانه

يضحكون من تلك العشوائية في الأثاث، ويتهامسون بينهم بأنّه لو كانت لديه زوجة لكانت غيّرت كل ذلك الأثاث الغريب- وتحدّث وما زالت الابتسامة تعلو محياه: «لقد رجعتَ إلى العمل من جديد، لماذا لا تنسى عملك ولو للحظة؟ ها أنا ذا جالسٌ معك ولديّ لوحات فنية بحاجة إلى إكمال، ولكنّي لا أفكر فيها حاليًا».

ابتسم ناصر بصورة أكبر، وقد أسند ظهره على كرسيه، وحرك نظارته الطبية بصورة لاشعورية في حال يريد أن يتكلم في شيء هام: «يا سمير، عملي يختلف عن عملك بصورة مطلقة، فكما تعلم أنا محقق وأعمل على كشف الجرائم المستعصية التي يختفي وراءها مجرمٌ غامض، أو أحقق في بعض الأحيان في جرائم القتل، فشتّان بين عملي الخطير وعملك اللطيف، الذي يكون فيه الفن والذوق، والإحساس المرهف».

ضحك سمير للمرة الثانية وهو يسند ظهره إلى كرسيه الغريب: «إحساس مرهف!! كم أنتَ شاعري يا صديقي المحقق!، في الواقع معك حق فيما قلتَ بأنّ هناك فرقاً بين وظيفتي كرسام ووظيفتك كمحقق، ولكن هناك ارتباط بين الوظيفتين، فأنتم بحاجة إلى رسام في حال أردتم التعرف على مواصفات أحد المجرمين الذين شاهدهم الشاهد بصورة خاطفة وسريعة، ويكون الرسم هو الوسيلة الوحيدة للتعرف على اللمحة الأولية للمجرم».

«معك حق يا سمير، لا يوجد أي خلاف فيما قلته؛ الذي كنتُ أريد توضيحه هو المهام الملقاة على عاتقي كمحقق، فأنا

في الغالب أتعامل مع المجرمين والقتلة بينما تتعامل أنت مع من يريد أن يرسم وجهه، أو يريد منك أن ترسم له لوحة فنية معينة».

ابتسم سمير، وتحدث بهدوء: «قد يكون من يأتي لطلب رسم اللوحة مجرمٌ كذلك. أذكر قبل خمس سنوات طلبَ مني أحد الزبائن أن أرسم له صورة شخصية، وبعد ستة أشهر رأيت صورته في صفحة الجرائم، فأنا أيضًا أتعامل مع المجرمين ولكن دون علمي، بينما أنت تتعامل مع المجرم أو الذي تشكّون بأنّه مجرم وأنتم تعلمون بشخصيته الإجرامية، فهذا يجعل من مهنتي أخطر من مهنتك». قال كلماته الأخيرة وهو يضحك.

ابتسم ناصر لمضيفه وصديقه القديم -وهو يتذكر كيف تعرَّف عليه في الجامعة قبل عشرين عامًا تقريبًا، فقد كان سمير يدرس في كلية الفنون، بينما ناصر في كلية الحقوق، ولكن كانت تجمعهما بعض المواد الفرعية التي يلتقيان فيها بين الحين والآخر، لقد كانت شخصيتهما متقاربتين، ولذلك تعرفا على بعضهما البعض وكان هناك أُلفةٌ لاشعورية تربط بينهما، ومنذ ذلك الحين كانا يلتقيان مع بعضهما البعض بصورة أسبوعية- وتحدّث وهو يحك لحيته: «معك حق، الزبون الذي يأتيك قد يكون مجرمًا بالفعل، ولكن لن يُظهر شخصيته الإجرامية إلا إذا أراد أن يسرقك أو يهاجمك، ولكن إذا كان قد حضر لرسمة معينة فحاله كحال أي شخص آخر، لن يؤذيك بأي طريقةٍ كانت».

«حكيم يا ناصر، أنت لم تتغير منذ أيام الجامعة وتحفظ جميع دروسها بخاصة مادة علم النفس، حيث كنتَ ترد على المحاضر بإجابات كنتُ أشعر بأنّها أكبر من مستوانا في ذلك الوقت».

أخفى ناصر اعتزازه بنفسه، وتحدّث وهو يسند ظهره إلى الكرسي: «يا صديقي لقد كنت شغوفًا بقراءة علم النفس وخفاياه، ولذلك أحببتُ المادة، وتمكنت من أن أجيب بتلك الإجابات التي تتحدث عنها. وبالرجوع إلى موضوع حوارنا، فأنت ترسم اللوحة التي تريد سواء أكانت من الطبيعة الخلابة أم من البيوت القديمة أو أي رسمة تخطر على بالك، ولكن نحن نكون ملزمين بمسرح للجريمة تكون الأدلة مبعثرة فيه، وعلينا جمعها وتحليلها ومن ثم التعرف على الجريمة بالصورة الكاملة، إلا إذا مُسحت بعض الأدلة الهامة، عند ذلك تكون المهمة أصعب».

«في هذه صدقت يا ناصر-وتغيرت نظرة سمير إلى نوع من الغموض- ألم تتمنَّ أن ترسم مسرح جريمة خاص بك؟ فأنت محقق بارع، وأظن بإمكانك رسم مسرح للجريمة».

اهتزت شفتا ناصر؛ فهو لم يعرف هل يبتسم أم ينفجر من الغضب؟، وقد مرت على ذاكرته ومضة سريعة على مسرح جريمة سابق وبخاصة عَقِب لسيجارة. تحدَّث وما زال مندهشًا: «ما الذي تقصده يا سمير؟ هل تقصد الرسم على اللوحة أم رسم المسرح على أرض الواقع؟»

ضحك سمير وقد نهض ليملأ له كأساً آخر من شراب اللوز:

«منذ متى وأنت ترسم على اللوحات يا ناصر؟ الذي قصدته هو: هل فكرت أن ترسم مسرحاً للجريمة على أرض الواقع؟»

«إذا أردتَ الحقيقة لقد فكرت في ذلك، ولكنَّ فكرتي تكون في رواية بوليسية أو فيلم، ولكن في أرض الواقع فأنا لستُ بمجرم كي أرسم مسرحاً للجريمة، يا لها من فكرة غامضة يا سمير!!»

جلس سمير مجددًا وهو يضحك بصورة هيستيرية: «يبدو بأنَّ الفكرة أعجبتك يا صديقي، -وتحدَّث بغموض- في الواقع أنا أريد رسم مسرح للجريمة أيضًا، ولكن ليس كما ترسمهُ أنت من أدلة وغيرها، أنا أريد أن أرسم جثة لشخص قد قتل ومضرج بدمائه، أريد لوحة مرعبة مثل ما رسم (فرانسيسكو غويا) لوحة (زحل يلتهم ابنه)».

ارتعشت يد ناصر التي كانت تحمل كأس العصير، وتحدَّث وهو يحاول تثبيت شفتيه: «ما بالك يا سمير؟! هل أصبحتَ مجرمًا على حين غرة؟ أم أنَّ التلفاز ومشاهدتك للمسلسلات البوليسية قد أثرا على تفكيرك؟ أي جثة تريد أن ترسمها؟ لو أنك رأيت شخص قد قتل ومضرج بدمائه على الطبيعة لأغمي عليك، فهي ليست كرسم الطبيعة الخلابة».

«ها قد رجعتَ إلى الطبيعة والإحساس المرهف، أنا قوي بما فيه الكفاية لرؤية الجثة -نظر إلى ناصر وهو يبتسم- ما رأيك لو نتمشى قليلًا في الغابة المجاورة، فالجو لطيف هناك».

«فكرة جميلة، بخاصة بعد هذا العشاء الدسم الذي جعلتني

أتناوله يا صديقي، لقد ازددت كيلو جراماً بسببه، انظر إلى بطني كم كبر وأنت ما زلت تحافظ على رشاقتك يا سمير».

اتّجه سمير ناحية الباب الرئيسي للمنزل وهو ينظر إلى المعاطف المعلقة، وأختار المعطف ذا اللون البرتقالي الفاقع، خرج كل من ناصر وسمير وقد شعرا ببرودة الجو اللطيف. كانت السماء صافية والنجوم متناثرة وواضحة، خرجا من الباب الخارجي للمنزل.

كان سمير يعيش في منطقة ريفية ومعزولة بعض الشيء عن المدينة، وبجانبه مزرعة كبيرة ومفتوحة -كانوا يسمونها الغابة- توزعت فيها بعض الأشجار الضخمة.

لقد سكن في هذا المنزل المعزول منذ عشر سنين مضت، لقد عشق العزلة وامتاز بين أقرانه بغرابة الأطوار. تمشيا إلى الغابة التي كانت تبعد مائة متر عن منزله.

الظلام كان دامسًا بداخل الغابة، فما زالت من غير إضاءة على الرغم من وجود طريق معبد يُقسمها في المنتصف، وطريق صغير خاص للمشي، أحبَّ سمير المشي في تلك الغابة، فقد كان يقول على حد زعمه بأنّ الغابة تُلهمه الرسم، وأحيانًا يرسم الطبيعة الخلابة من خلال تلك الغابة.

تحدث سمير بغموض وهو يُعدل من معطفه: «ما رأيك يا ناصر بهذا المكان؟ ألا يصلح بأن يكون مسرحاً للجريمة؟ فالظلام الدامس والهدوء القاتل عاملان رئيسيان في الجريمة، أليس كذلك يا حضرة المحقق؟»

ارتعدت أوصال ناصر قليلًا: «بلى يا سمير بلى، هذا المكان مثالي لجريمة قتل، -نظر إليه بصورة مباشرة- ما بالك اليوم تكرر عبارة: مسرح الجريمة، هل تنوي القيام بجريمة يا سمير؟ أم أنّكَ تريد إثارة غريزة المحقق لديّ».

ضحك سمير بصوت مرتفع: «هوّن عليك يا صديقي، أي جريمة!! أنت تعرف بأنّني لا أستطيع قتل نملة، ولكن كنتُ أتساءل عن رغبتك الداخلية، أو لأكون أكثر وضوحاً أتساءل عن الجانب الشرير والمظلم من شخصيتك الخفية، فكما تعلم يا ناصر إنّ لكل إنسان شخصيته الرئيسية التي تكون واضحة للجميع، وشخصية فرعية يُظهرها لنفسه فقط».

ابتسم ناصر وقد برزت أسنانه البيضاء: «لقد بدأتَ تتكلم في علم النفس يا سمير، فعلاً هناك صراع يكون عند البعض، بخاصة أولئك الذين تكونتْ شخصيتهم وسط مجتمع معين وهم ليس لديهم اقتناع بعادات ذلك المجتمع؛ وللتوضيح أكثر، البعض قد يولد في بيئة ذات عادات وتقاليد ملتزمة إلى حد كبير، ولكن هو كشخص لديه رغبة في الانفتاح وعدم الالتزام بتلك العادات والتقاليد؛ فيتكون لديه صراع داخلي بين ما يمليه عليه المجتمع وبين رغباته الداخلية، فقد تكون لديه شخصيته الفرعية كما قلت سابقًا».

«ما زلتَ تحفظ كل كلام دكتور علم النفس يا ناصر، كم هو جميل شرحك التفصيلي للشخصيات! ولكنّك لم تُجبني: هل تمتلك شخصية شريرة أو صراع كما ذكرتَ مسبقًا يميل بكَ إلى ارتكاب الجريمة؟ ورسم مسرح جريمة خاص بك؟».

مرت على ناصر ومضة عَقِب السيجارة في أحد مسارح الجريمة مجددًا، وتحدَّث وهو مرتبك بعض الشيء: «بصراحة لم أفكر من قبل بصورة جدية، ولكن كما أخبرتك مسبقًا قد أعمل على تأليف رواية بوليسية أصنع فيها مجرمًا، ومسرحًا للجريمة ويكون حلها صعباً جدًا، ولن تستطع أنت حلها». وضحك وهو يغمض عينيه.

«أنت غير صريح معي يا ناصر، سأكون أكثر صراحة منك يا صديقي، أنا لديّ شخصية شريرة خاصة بي ولا أعلنها لأحد، وهي تريد مني رسم جثة لشخص مقتول مضرج بدمائه».

هبت نسمة هواء باردة زادت في ارتعاد أوصال ناصر مع سماعه لتلك الكلمات المرعبة والغريبة من شخص كسمير، وتكلّم بارتباك: «هل أنت جاد يا سمير؟ هل تفكر في ذلك؟ أم أنكَ تحاول إغاظتي فقط».

نظر سمير إلى محدّثه بغموض، وقد تحولت نبرة صوته إلى الغموض أكثر: «ما بالك يا صديقي؟ لقد أخبرتك بأنّي سأكون أكثر صراحة منك، وقد أخبرتك بشخصيتي الخاصة بي، فأنت صديقي المقرب، وأحب أن أخبرك بكل ما لديّ من أسرار».

«شكرًا على ثقتك بي يا سمير، ولكن أنا مستغرب من شخصيتك الفرعية بحد زعمك، وكيفية التفكير في مثل هذه الفكرة المرعبة، فأنت مثال للأحاسيس، بخاصة مع رسوماتك ومع أثاثك الغريب، فكيف لهذه الشخصية الثانوية أن تجعلك تفكر في مثل تلك الأفكار السلبية؟»

«عدنا إلى الأحاسيس، يا ناصر لقد قلتُ لك ما يقوله الجانب المظلم لي، بعض الأحيان تتوارد عليّ بعض الأفكار السلبية والغريبة وتجرّني إلى التفكير برسم الجثة، ولكن لا أعلم كيف؟ هذا كل ما في الأمر، أمَّا أن أقوم بها فهذا محض خيال، أنا لا أستطيع أن أظهر جانبي المظلم -تحدَّث وكأنّه يشرح درساً في تاريخ الفن- على سبيل المثال لقد كان الفنان (فرانسيسكو غويا) فناناً مشهوراً وقد رسم 14 لوحة سوداء، لم ينوِ غويا أن يرى أحدٌ هذه اللوحات بخاصة عندما رسمها، ولم يتم كشفها إلا بعد موته، ويعتقد بأنّ هذه اللوحات كانت تمثل أكثر اللحظات السوداوية التي مرت عليه حينما كان في منزل الرجل الأصم، وهذا الفنان كان يعبّر عن جانبه الأسود، والخاص به، وتعتبر لوحاته من اللوحات المرعبة -أضاف وهو يبتسم- يقول كافكا (لا أستطيع أبدًا أن أكشف للناس عمّا يجول بخاطري من أفكار بشكل كافٍ؛ حتى لا يبتعدوا عني هلعًا ورعبًا)، وهذا يدل على وجود جانب خفي عنده وهو مرعب – وتبسَّم أكثر- لا تخفْ، فإنّي لا أستطيع أن أعبّر عن جانبي المظلم والخفي». وضحكَ بصوت مرتفع.

ابتسمَ ناصر: «لقد حضَّرت للموضوع جيدًا حتى إنّكَ أثبتَّ ذلك بالأمثلة والبراهين-تحدّث ناصر بريبة- كما تعلم من الصعب على أي إنسان أن يُخبرك بجانبه المظلم كما تفضلت، فالبعض يُبقون الجانب المظلم لأنفسهم، ولكنّهم قد يُخرجونه إلى العلن بعد مدة من الزمن. أتمنى أن يبقى جانبك المظلم في مكانه ولا يخرج إلى أيّ مكان».

ضحك سمير بصوتٍ مرتفع، وقد أدمعت عيناه: «لا تخف يا ناصر، سيبقى جانبي المظلم مكانه، وسيرافقني إلى قبري ولن يخرج إلى العلن، كم هو جميل التحدث معك يا صديقي العزيز!».

سارا عائدين إلى منزل سمير بعد أن أصبحت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، وصلا عند الباب الخارجي لمنزل سمير -الذي كان مفتوحًا طوال الوقت، فقد كان سمير يكره أن يقوم بفتح وبإغلاق الباب عند دخول أو خروج الزوار والزبائن، ولهذا فهو يتركه مفتوحًا دائمًا- والذي يدخلهما إلى حديقة منزل سمير الكبيرة بعض الشيء، التي كانت مليئة بالأزهار الموسمية والتي تلونت كلوحة فنية، وببعض الأشجار المترامية، وكانت هناك مساحة بسيطة لمواقف سيارات الزوار والزبائن، وودّعا بعضهما بعضًا.

استقلَّ ناصر سيارته السوداء من نوع (مرسيدس 1990)، وتوجّه ناحية الباب الخارجي لمنزل سمير، تذكّر مسرح جريمة سابق، انتقل بخياله إلى ذلك المسرح القديم الذي مضى عليه خمس سنوات وكأنّه يراه أمامه...

أنوار سيارات الشرطة تعج بالمكان، أشرطة صفراء تحاصر أحد مسارح الجريمة، جثة معلقة على أحد أعمدة شارة الوقوف. تكررت الجريمة للمرة الثانية، هناك مجرم واحد فقط ولكن لم يكن هناك دليل قاطع على جريمته، فكّر يومها بأن يصنع دليلاً صغيراً في ذلك المسرح، ليكون حجة على ذلك المجرم.

لقد تمكّن ناصر من الحصول على عَقِب سيجارة من ذلك المجرم بخاصة عندما أطفأها في مطفأة غرفة الانتظار في مركز الشرطة عندما حضر للتحقيق أول مرة، احتفظ ناصر بها يومها للحاجة، وبالفعل فقد احتاجها في ذلك اليوم، وقد رماها يوم وقوع الجريمة دون أن يلاحظه أحد أمام شارة الوقوف. كان يُعزّي نفسه بأنّ ذلك المجرم يستحق السجن وهو الفاعل، ولكن لم يتمكن من إيجاد الدليل، وهذا سيكون دليلاً قاطعاً على إدانته.

أخبرَ ناصر يومها أحد أفراد الشرطة بأخذ عَقِب السيجارة لتفحص الحمض النووي للتعرف على صاحبها.

وبعد تحليل عَقِب السيجارة تبيّن أنّه يعود إلى المجرم الذي كانوا يشكّون به، وقد تمّ القبض عليه على الرغم من إنكاره.

لقد شعر ناصر يومها بشعور غريب، فقد استطاع أن يُلقي القبض على المجرم ولكن بدليل اصطنعه هو.

رجع بمخيلته إلى الواقع وهو يقطع الطريق بالسيارة، وتحدث لنفسه بغموض وبصوت مسموع: «لقد كان يستحق السجن، وقد صنعت دليلاً بسيطاً فقط، ولكن مسرح جريمة كامل!! هذا ما أفكر به بصراحة في جانبي المظلم، ولكن لا أستطيع البوح به بصراحة لأي شخص كان حتى صديقي المقرب سمير، فحياتي المهنية هامة بالنسبة لي».

***

منزل سمير...

لبس سمير (روب النوم) الأزرق وهو يتجه ناحية قاعة التلفاز في منزله، وقبل أن يُشغل التلفاز تذكّر الحديث الذي دار بينه وبين ناصر منذ قليل، وردد في مخيلته: «جانبي المظلم، لا أظن بأنّه جانب مظلم، فوجود الشخص المقتول أمامي سيجعل من لوحتي أكثر واقعية». وضحك بصورة هستيرية.

ابتسم وهو يحدث نفسه بغموض: «ستكون لوحة فنية رائعة لم يُرسم مثلها على مستوى العالم أجمع، مثل لوحة الموناليزا، سوف أسطّر التاريخ بتلك اللوحة الفنية الغامضة، جثة حقيقية، كم هي جميلة تلك اللوحة الفنية!».

2

الغيرة

بعد ثلاثة أيام/ منزل سعاد/ الساعة السابعة مساءً..

تحدّث هشام - زوج سعاد - بعصبية وهو ينفث الدخان من فمه: «سوف تذهبين مجددًا إلى ذلك المجنون لكي يرسمك، يا لكِ من بلهاء!! تدفعين له مئات الدنانير من أجل لوحة شخصية، كان بإمكانك أن ترسمي أحلى منها في آخر سفرة لنا في باريس، ولكن يبدو بأنّ هناك شيئًا آخر بينكما».

ردت سعاد بعصبية: «ما هذه الترهات يا هشام التي دائمًا ما تكررها عند خروجي لإكمال رسمتي!!؟ هل تعتقد بأنّي أميل إلى ذلك الفنان المجنون؟ -وتحدثت بغرور- وأمَّا عن رسمه لي، فهو يعتبر الفنان الأول في البلاد، وهذا ما يجعل جميع أفراد الطبقات المخملية يرغبون في الحصول على رسمة شخصية من بين يديه».

«أنتِ حرة فيما تريدين، ولقد أنذرتكِ، فهو قد ينصب عليك بمبالغ طائلة من أجل رسمة قد لا تعتبر من الذوق الرفيع».

«لا بأس، ما يهمّ أن يكون توقيعه عليها».

أحمر وجه هشام غضبًا: «هل أنتِ متأكدة بأنك نسيت علاقتك السابقة به؟»

أشاحت سعاد بوجهها عن زوجها وتحدثت بسخرية: «أي علاقة؟! لقد كنت في سن المراهقة حينها، لا تخف؛ فأنا لستُ

معجبة به على الإطلاق».

«أتمنى أن تكوني صادقة، فقد وصلني كلام مختلف عمَّا ذكرتِه للتو».

تحدثت بصورة عصبية وقد احمرَّ وجهها الأبيض: «هل تراقبني يا هشام؟»

تحدث دون اهتمام: «بإمكانكِ قول ذلك».

أخذت حقيبة يدها، وخرجت مسرعة من المنزل دون أن تلتفت إليه...

3

جريمة غامضة

منزل سمير/الساعة العاشرة مساءً. . .

رد ناصر على هاتفه الخلوي وهو يبتسم: «تخبرني بأن أزورك عند الثامنة والنصف، وأتفاجأ بسيارة زبون عندك. .

قاطعه سمير وهو في غاية الارتباك، وقد ازداد وجهه حمرة: «لقد ماتت يا ناصر لقد ماتت!! - وتردَّد فيما يقول- لا أدري ما الذي حصل؟، ولكنّها ماتت يا ناصر».

عدَّل ناصر من جلسته على الأريكة وهو يضع قدح الشاي جانبًا، وقد تبدلت الابتسامة إلى جدية بالغة: «ما الذي تهذي به يا سمير؟ من مات؟!! هل جننت؟ تتصل في هذا الوقت من الليل وتقول ماتت، أنا لا أفهم ما تقول، تحدّث بهدوء إذا أمكن، من هي التي ماتت يا سمير؟»

تأفّف سمير وهو يسير بين أرجاء الصالة: «أقول لك ماتت يا ناصر، لقد ماتت إحدى زبائني، لا أدري ما الذي حصل!، لقد حدث كل شيء بسرعة وفي لحظات سريعة».

نهض ناصر من مكانه وقد اهتزت شفتاه: «أنا قادم إليك، لا تُحرك شيئاً من مكانه، أتمنى أن تهدأ، هل اتصلت بالشرطة؟»

«لا يا ناصر، لقد اتصلت بك مباشرة، لا تخفْ؛ لن أحرك شيئاً من مكانه، أتمنى أن تصل في أسرع وقت ممكن، لا أدري ما العمل مع هذه الجثة التي أمامي».

«أنا في طريقي إليك يا سمير، لا تقلق سوف أصل بسرعة، فالشارع غير مزدحم في هذا الوقت من الليل».

أغلق سمير الهاتف وهو ينظر إلى جثة الفتاة التي أمامه، وقد برزت ابتسامته الغامضة، حدّث نفسه: «أظن بأنّ عليها شكري لأنّي خلدتها، إذ جعلتُ منها لوحةً فنيةً رائعةً جدًا، كم أشعر بالراحة لتحقيقي حلمي الذي تمنيتُ أن أحصل عليه منذ زمن!».

4

رسام المسرح

منزل سمير/ الساعة العاشرة والنصف مساءً..

دخل ناصر من المدخل الرئيسي لمنزل سمير وهو في غاية الارتباك، نظر إلى سمير وإلى الجثة التي كانت مسجاة على الأريكة الحمراء، وقد تلوَّن جزء منها بدماء الضحية. تكلّم وهو مصدوم: «ما الذي حدث يا سمير؟ هل قتلتها؟ أم...

قاطعه سمير بعصبية وبارتباك: «أنا لم أقتلها يا ناصر، لا أعلم كيف ماتت!، فقد حدث كل شيء بسرعة».

«هدئ من روعك وتكلّم بهدوء كي أستطيع مساعدتك فيما حصل، أرجو أن تشرح لي ما حصل من لحظة دخول هذه الفتاة إلى منزلك حتى سقوطها كجثة هامدة على هذه الأريكة، أرجو أن تقول الحقيقة من أجل أن أستطيع تدبر الأمور».

جلس سمير على كرسيه الوردي بقوة وكأنّه طائرة قد هبطت بصورة اضطرارية: «لقد كنت أرسم هذه الفتاة على مدى يوم كل أسبوع، وذلك كي أخرج برسمة متقنة ودقيقة التفاصيل، وفي هذا اليوم جاءت وقد شعرت بأنّ هناك خطبًا ما؛ فقد كانت غاضبة وحزينة بعض الشيء، طلبت منها الجلوس على الأريكة المخصصة لرسمها، وبعد أن نفذت مني بعض الألوان ذهبت لجلب المزيد، وقد تغيبتُ في حدود عشر الدقائق، وما أن رجعتُ إليها حتى رأيتها ملقاة، كانت الدماء تنزف من خلف رأسها، وقد جن جنوني حينها. ذهبت لإيقاظها فقد حسبت أنّها

قد أغمي عليها، ولكنّي عندما تحسست نبض قلبها من رقبتها لم يكن هناك نبض، وعلى الفور اتصلتُ بك».

تحدّث ناصر بريبة وهو ينظر إلى صديقه: «إذا لم تكن أنت من ارتكب الجريمة، فلنتصل بالشرطة، وسوف أخبرهم بما حدث يا سمير..

قاطعه سمير بارتباك: «لا تتصل بالشرطة يا ناصر، أنا أخشى أن يلقوا القبض عليّ ويتهموني بقتلها، فأنا لا أملك شاهدًا على ما حدث، والشرطة قد تُعقد الموضوع، وكما تعلم أنا فنان مشهور ولا أريد الفضائح، هل تستطيع مساعدتي بطريقةٍ أخرى؟»

جلس ناصر على الكرسي المقابل لسمير وهو يحكّ لحيته: «كيف لي أن أساعدك يا سمير؟ هل تريد مني أن أتخلص من الجثة مثلًا؟ أم تريد أن أدفنها في مكان قريب؟».

«لم أقصد ذلك يا ناصر، لا أريد منك أن تتخلص من الجثة، فهي بالطبع أخبرت زوجها عن قدومها إلى هنا كي أرسمها، وعند سؤاله سوف يتم استدعائي على أنّي آخر شخص التقيتُ بها».

مال ناصر بجسده نحو سمير وهو يحدثه بعينين نصف مغمضتين: «إذا كنت لا تريد مني التخلص من الجثة، ولا أن أدفنها، فما هي الطريقة التي تريد مني أن أساعدك بها يا سمير؟».

تكلّم سمير بشيء من الغموض: «يا ناصر قد تشك فيما

أقول، ولكن سوف أخبرك بما يجول في خاطري، وأنت تعرف بأنّي صريح بما فيه الكفاية، قد أكون حققت لك ما تتمناه بهذه الجثة المسجاة على هذه الأريكة الحمراء. . .

قاطعه ناصر بشيء من الارتباك، وقد بدأت شفتاه بالاهتزاز وهي حالة تصيبه عندما يكون مرتبكاً بشدة: «الذي أتمناه!! ماذا تقول يا سمير؟ هل ما كنت أتمناه جثة مضرجة بدمائها؟»

«أنت تفهم ما أقصده تمامًا، ما تتمناه هو صناعة مسرح جريمة خاص بك، يعجز عن حلّ سرّه أكبر المحققين الموجودين في البلد».

نهض ناصر من مكانه وقد احمر وجهه الأسمر: «هل أنت من قتلها يا سمير؟ هل حققت جانبك المظلم بعد كل هذه السنوات؟ هل. .

قاطعه سمير وهو يضحك: «جانبي المظلم!، لقد أخبرتك بما حصل. لقد كانت هذه الجثة هدية من السماء، وقد رسمتها وسوف تكون من أجمل الرسومات في العالم، بقي هدفك أنت يا صديقي العزيز، وهو أن تقوم برسم مسرح للجريمة بالشكل الذي تريد».

تحدث ناصر وهو يحاول إخفاء فرحته بحصوله على ما يريده منذ زمن، وتكلم بشيء من الجدية: «أنا سأساعدك، فأنت محتاج إلى مساعدتي في هذا الوقت العصيب، وسوف أرسم مسرح جريمة خاص بي، يكون من الصعوبة أن يصل إليه أذكى المحققين».

ابتسم سمير بخبث، فقد كان يعلم نوايا صديقه ناصر، وإن كان يحاول إخفاءها، تكلم وهو يحاول مسايرته: «شكرًا لك يا صديقي على هذه المساعدة، ما الذي تنوي فعله بهذه الجثة الآن؟ بالطبع أنت لا تفكر أن يكون مسرح جريمتك هنا».

ضحك ناصر وهو ينظر إلى علامة الارتباك الواضحة على سمير-فقد كان هو الآخر يشك فيما قاله سمير، ولكنّه في النهاية سوف يُحقق حلمه برسم المسرح الذي يريد -وتحدث بهدوء: «لا يا صديقي، سوف ننقل الجثة إلى الغابة بحذر تام، سوف أقوم بلبس الملابس الخاصة بمسرح الجرائم كيلا تسقط مني أية ألياف من ثيابي، وسأجلب معداتي الخاصة، أريد منك فقط مسح الدماء -نظر إلى سمير بريبة- أنت لم تقترب من الجثة أليس كذلك؟»

ارتبك سمير وهو يتذكر كيف حمل الجثة ووضعها على الأريكة: «اقتربت عندما تفحصت نبضها فقط».

«سوف أعمل على تنظيف كل ما يخص ثياب الضحية بحيث لا يكون هناك أثر لأي بقايا من خيوط أو ألياف ثيابك، وإن كان الموضوع غير هام بالنسبة لك».

نظر سمير إلى محدثه بريبة: «ليس هاماً بالنسبة لي!!؟ هل تنوي أن يكتشفوا بأنّي اقتربت من الجثة، أو أنّي تحسستُ نبضها يا ناصر؟، هل توضح لي ما الذي تنوي فعله؟»

ابتسم ناصر بشيء من الغموض: «يا سمير، الذي أقصده أنتَ كرسام لابد من أن تقترب من الزبون الذي تنوي رسمه،

فبعض الأحيان على سبيل المثال قد تخبره بضرورة تعديل وضعيته؛ وعندما يكتشفون الجثة - وإن كانت في الخارج - فسوف يعرفون عاجلًا أم أجلًا أنّها كانت معك في هذا المكان عندما كانت حيةً ترزق».

«الآن فهمت يا ناصر، كم أنتَ ذكي!، سوف أحاول أن أمسح الدماء من فوق الطاولة الجانبية والأريكة بعد أن تحرك الجثة من مكانها، فالدماء قد تكون تناثرت في مكان آخر أيضًا- نظرَ سمير إلى الأصيص الذي كان يقف بجانبه ناصر- هلّا تفحصتَ ذلك الأصيص إن كان يحتوي على دماء؟».

تفحص ناصر الأصيص بعناية: «لا توجد أي دماء، فهو بعيد بعض الشيء عن المسرح - نظر ناصر إلى سمير ببرود وهو يهم بالخروج لإحضار بعض المعدات- يا سمير إذا كان هناك شيء تريد أن تخبرني به فيفضل أن يكون الآن، فأي دليل وإن كان بسيطاً سوف يُجرّمك أنت. تذكّر كل التفاصيل التي حدثت وإن كانت بسيطة».

نظر سمير إلى ناصر وهو يتذكر كيف وضعها على الأريكة وقد تلونت قلادتها بقطرات الدم، القلادة التي كانت هدية من عنده في يومًا من الأيام، لقد تخلّص من ملابسه بصورة سريعة، وسوف يُحرقها كما كان يُخطط، تحدث وهو سارح: «لا أذكر شيئاً هاماً الآن».

استدار ناصر إلى سمير وكأنه تذكّر شيئاً هاماً: «وهناك شيء آخر قبل أن أخرج: أرجو أن تقلل من درجة برودة الغرفة، فكلما كانت الغرفة باردة قلت سرعة تيبس الجثة، وذلك للحفاظ

عليها بصورة أكبر وحمايتها من التيبس، فنحن نريد نقلها، ولا أريد لها أن تتيبسّ بحيث لا نستطيع التحكم بها».

نظر سمير إلى ناصر بتعجب، وحدّث نفسه: «يبدو أنّه مستعد منذ زمن لمثل هذا الموقف، لقد حسب حسابًا لكل نقطة، أنا لا أنكر ذكاء المحقق ناصر، ولكن تدبّره لموضوع الجثة وإعداد العدة سابقًا يجعلني أشك بأنّه قد خطط لمثل هذه الأمور، ما يهمّ الآن أن يساعدني ويخرجني من هذا المأزق».

بعد دقيقتين دخلَ ناصر وقد لبس لباسه الخاص بمسرح الجرائم، حيث غطى كل جسده بلباس أبيض خاص، كما وغطى يديه بقفاز. نظر إلى سمير وهو يحمل ملابس إضافية إلى مسرح الجرائم، وتحدّث من وراء الكمامة: «البسها لأنّك ستساعدني في حمل الجثة».

أشار سمير بالإيجاب من دون أن ينبس ببنت شفة.

مدّد ناصر كيس خاص بالجثث على الأرض، وقام بعدها بحمل الجثة ووضعها عليه، كان سمير ينظر إلى صديقه بتعجب كبير، فاسترخاء ناصر وعدم ارتباكه يُثير الشبهات، وكأنّه قد اعتاد على مثل هذه الأمور. بدأ ناصر بتنظيف الجثة بأدوات خاصة وبصورة سريعة وبعدها أخرجَ من حقيبته مرهماً ومسح الجثة به، خاصةً منطقة الجرح، والفتحات الخارجية كالعينين والفم والاذنين والانف. زاد استغراب سمير وهو ينظر إلى ناصر الذي كان يمسح بدقة فوق كل فتحة! تحدّث ناصر بجدية بالغة: «هيا يا سمير سوف ننقل الجثة إلى الغابة، أريد

منك مساعدتي في حملها».

أجاب سمير وهو سارح: «بالطبع، ولكن إلى أين تنوي أخذها يا ناصر؟ أقصد في أي منطقة من الغابة -وتحدّث بحماس- هناك مكان أعرفه أظن بأنّه يصلح لأن يكون مسرحاً للجريمة».

ابتسم ناصر من وراء الكمامة البيضاء: «يبدو بأنّك قد درست كل شيء يا سمير، لا بأس، سوف نذهب إلى حيث تريد، وهناك سوف أقوم بتجهيز المسرح الخاص بي». وبينما هو يحدّث سميراً قام بضرب ساعة الضحية، وجعلها تتوقف عند الساعة الحادية عشرة.

نظر سمير إلى ناصر بذهول: «ما الذي تفعله يا ناصر؟ هل تنوي كسر ساعتها؟ إذا كانت الساعة تضايقك فقم بتجريدها منها واكسرها في أي مكان آخر، سوف تفسد الجثة بهذه الطريقة».

ضحك ناصر بصوت مرتفع وهو يلفّ الكيس على الجثة: «ما بالك يا سمير؟ هل تعتقد بأنّي أريد إتلاف ساعتها؟ كل ما أريده هو تثبيت الوقت، وكأنّها قد أصيبت في هذا الوقت بالذات. إنّها إحدى الطرق القديمة لتحديد زمن الوفاة، وقد يعتمد عليها أحد الأخصائيين الجنائيين أحيانًا، فعندما تسقط الجثة قد تتأثر ساعة اليد وتثبت على وقت معين، وقد يأخذ الأخصائي الجنائي هذ الأمر بعين الاعتبار». قال كلماته الأخيرة وهو يحمل الجثة من المقدمة.

حمل سمير الجثة من القدمين وقد زاد ذهوله من ناصر: «يا لك من ذكي يا ناصر!، لقد بدأت أشك بأنّك قد خطّطت لكل شيء منذ زمن، ولكن ماذا عن المرهم الذي دهنتَ به الجثة؟»

ابتسم ناصر من وراء الكمامة: «يا سمير، لقد قمت بدهن الجثة بمرهم يعمل على إبعاد الحشرات؛ وللتوضيح أكثر، هناك أنواع من الذباب والذي نسميه نحن (مكتشف الجثة) يعمل على وضع البيض في فتحات الوجه، والجروح إذا وجدت، وهناك نوع خاص يكون في الأماكن المغلقة، وبالتالي يستطيع عالِم الحشرات الجنائي التعرف من نوع البيض الموضوع إذا ما كان في مكان مغلق أم مفتوح، وبما أنّي فكرتُ في نقل الجثة إلى الخارج، فقد عملت على تنظيف ودهن تلك المناطق كيلا يكون هناك مجال للشك بأنّ الجثة كانت في مكان مغلق».

فتح سمير عينيه أكثر من الذهول. كانا قد وصلا إلى خارج المنزل، وبعد تفحصهما للطريق ذهبا باتجاه الغابة، تحدّث سمير بتلعثم: «ولكن أظنّهم سيكتشفون بأنّ الجثة قد تمَّ دهنها بالمرهم».

«بالطبع سيكتشفون ذلك، ولكن قد يراودهم الشك بأنّ القاتل قد دهن الجثة بذلك المرهم ليمنع حشرات الغابة من الاقتراب منها، وبالتالي هي محاولة لتضليلهم لعدم معرفة الوقت التقديري للوفاة من خلال دورة الحشرات؛ وللتوضيح أكثر، هناك دورة للحشرات المتوالية على الجثة، فبعد الذباب بأنواعه -الذي يضع البيض وبعد فترة من الزمن يفقس وتظهر

اليرقات، ولهذا يستطيع العالم التعرف على وقت الوفاة من عمر هذه اليرقات- تتوافد الحشرات، مثل الخنافس التي تنجذب لرائحة السوائل النيتروجينية للجثة، وأحيانًا يتجمع النمل والدبابير في مكان الجثة وغيرها من الحشرات، وكل حشرة حسب دورتها ومرحلة تحلل الجثة».

«مثير، بمعنى آخر إنّ الحشرات لها دور كبير في التحقيق، فكما تفضلتَ أنّ لكل حشرة وقت معين، وبناءً على ذلك يكون تحديد وقت الوفاة التقريبي للضحية. لم أكن أعلم أنّ لهذه الحشرات دوراً في التحقيق».

ابتسم ناصر وهو يلهث من ثقل الجثة التي يحملها: «الحشرات هامة جدًا حتى إنّ هناك علماً خاصاً بتلك الحشرات يسمّى علم الحشرات الجنائي، فكما أسلفتُ إنّ للحشرات دورة طبيعية على الجثة، وبالتالي تساعد الطبيب الشرعي في تحديد وقت الوفاة التقريبي».

بعد خمس دقائق وصلا إلى المكان الذي حدده سمير، أنزلا الجثة برفق على الأرض العشبية. فتح ناصر كيس الجثة الملفوف بهدوء تام، أخرجَ الجثة وقد أحسّ بتيبس خفيف عند بعض المناطق، وضعها على وجهها وكأنّها سقطت بعد تلقيها ضربة على الرأس. أخذ غصن شجر متوسط الحجم وقام بمسحه على رأس الجثة من الخلف مع ترك أثر بسيط لبعض قطرات الدم. رمى الغصن على مسافة بسيطة من مكان الجثة، أمسك بجثة كلب كان بالقرب من الموقع وعمل على دس ظفريّ الضحية السبابة والإبهام في جثة الكلب، وبعدها

أخرج من جيبه قاطعة حادة، وقطع الإصبعين بكل حرفية ورماهما بعيدًا عن مسرح الجريمة. كان كل ذلك وسط ذهول سمير الذي لم يكن يستوعب ما يحدث أمامه! نظر ناصر إلى سمير بجدية: «علينا الآن أن نجلب سيارتها إلى هنا، ونركنها وكأنّ شخصاً اعترضها في الظلام».

أشار سمير بالإيجاب دون أن ينطق بأي حرف...

توجّها ناحية منزل سمير مجددًا، وعلى الفور دخل سمير وأحضر حقيبة اليد الخاصة بالضحية، أخذ ناصر الحقيبة وأخذ كل ما هو ثمين من أموال وحلي وقام بإعطائها لسمير ليخبّئها، وبعدها أخذ الحقيبة إلى السيارة وأخرج منها مفتاح السيارة وأدار المحرك واتّجه ناحية الغابة. قام بضرب المكابح بصورة قوية وجعل السيارة تنحرف باتجاه الغابة قليلًا، وأوقفَ السيارة بين الشارع المعبد وبين الأعشاب.

رجع ناصر راجلًا إلى سمير الذي كان ينتظره في الحديقة، نظر إليه وهو يخلع الكمامة من فوق فمه: «غيّر ملابسك، ولنتمشَّ قليلًا، سوف أدخل ملابسي الخاصة داخل سيارتي، ما بالك تنظر إليّ؟، اذهب وغيّر ملابسك، أنا سأكون جاهزاً بعد قليل».

كان سمير مندهشًا ممّا يسمعه ويراه، تحدّث وهو مرتبك: «ماذا تقول يا ناصر؟ نتمشى إلى أين؟ هل تقصد بأن نتمشى إلى الغابة كعادتنا؟ وماذا عن مسرح الجريمة الذي صنعته للتو؟ أنا لا أفهم تصرفاتك يا ناصر».

ضحك ناصر وهو ينظر إلى ارتباك سمير الواضح: «كما قلتُ لك: اذهب وغيّر ملابسك لنتمشى في الغابة، وفي الطريق الذي نتمشى عليه، ما بالك يا سمير؟ أنت تريد مني أن أساعدك في مشكلتك التي تواجهها، عليك أن تسمع كلامي دون أن تعترض».

لم ينبس سمير ببنت شفة، ودخل إلى منزله لتغيير ملابسه، وبعد خمس دقائق كان ينتظر ناصراً الذي ذهب وأخفى معداته التي استعملها وملابسه في السيارة، وكان جاهزًا للمشي.

نظر ناصر إلى سمير بعينين باسمتين: «فلنتمشَّ، وسأجيب على كل تساؤلاتك التي تشغل تفكيرك، أنت ما تزال مصدوماً مما حدث، ولكن كما قلت لك من قبل، جرائم القتل التي تمر علينا، بالإضافة إلى اعتيادي على رؤية الجثث هي التي صنعت شخصيتي، فهدوئي كان بسبب خبرتي في هذا المجال».

تحدّث سمير بتعجب معدّلاً من معطفه الرياضي وهو يتمشى: «ما الذي فعلته بالضحية؟، ما دخل جثة الكلب بإصبعي الضحية؟ هل تريد أن توهم الشرطة بأنّ الكلب هو من هجم على الضحية؟»

ضحك ناصر بصوتٍ مرتفع: «لا يا صديقي، كيف لكلب أن يهجم على الضحية ويضرب رأسها؟ لقد كانت الفكرة أن نموّه مجرى التحقيق، فعندما غرست ظفريّ الضحية السبابة والإبهام في جثة الكلب، وبعدها قطعت الإصبعين ورميتهما بعيدًا عن الجثة، كان ذلك مجرد تمويه للمحقق، فهو سيقول

بأنّ الضحية قد أمسكت بالمشتبه به وغرست ظفريها في جسده، ولذلك عمل المشتبه به على قطع إصبعي الضحية، عندها سوف يبحثون عنهما، وعندما يجدونهما ويحللونهما سيتضح لهم بأنّها خدعة، وأنّ النتائج ستكون للكلب، كمحاولة لتضليل مجرى التحقيق، وتضييع الوقت في البحث عن الإصبعين».

نظر سمير إلى ناصر وهو مندهش: «يا لك من عبقري يا ناصر!، أظن بأنّك فكرت في كل خطوة يخطوها المحقق -وتحدّث بشك- وكأنّك تحضّر لهذا المسرح منذ زمن، أليس كذلك يا صديقي؟ قل الحقيقة، كن صريحاً معي في هذا الموضوع على الأقل».

ابتسم ناصر بخبث: «إذا كنتَ أنت صريحًا معي سأكون صريحًا معك يا سمير، لا تقل إنّ الواقعة كانت محض صدفة. إذا أخبرتني الحقيقة سأخبرك الحقيقة بدوري».

استغرب سمير من نبرة ناصر المختلفة عن العادة، تحدّث بتردد: «لقد أخبرتك الحقيقة كما حصلت عدا شيء واحد فقط، فعندما رجعت ورأيتها على الأرض وهي جثة هامدة، قمت بنقلها إلى الأريكة كي أرسمها بصورة أفضل، وقد أسميت اللوحة (لوحة الموت) -وتحدّث بعصبية- كانت تستحق الموت..

قاطعه ناصر بعصبية: «لا تقل بأنّك على علاقة بتلك الضحية، إذا كانت هناك علاقة بينك وبينها أخبرني يا سمير، عليك أن تخبرني بالحقيقة الكاملة».

«لقد كانت هناك علاقة سابقة بيني وبينها، ولكنّها انقضت منذ سنين، فقد تزوجت وانتهى الأمر، لقد رفضتني بسبب فقري بخاصة في مقتبل عمري، وتزوجت من أحد التجار، وعندما علمت بأنّه قد تغير وضعي، جاءت إليّ كزبونة لأرسمها فقط. في الحقيقة لم أتذكرها في بادئ الأمر، ولكنّي تذكرت كل شيء عندما ذكرت لي اسمها الحقيقي في الزيارة الثانية، عندها تذكرت ذلك الماضي التعيس وكيف هجرتني بسبب فقري».

نظر ناصر إلى سمير نظرة المغشي عليه: «إذن هذه السيدة التي حدثتني بقصتها معك من قبل!!؟ لقد تعقّد الموضوع أكثر، أنت في مقدمة المتهمين يا سمير، بخاصة إذا بحثوا عن ماضي تلك السيدة -تحدّث وهو ينظر في عينيه بصورة مباشرة- الشيء الوحيد الذي أطلبه منك أن تكون ثابتاً في أقوالك، وإن سألوك عن علاقتك بها، فأخبرهم الحقيقة ولا تنكر، لأنّهم سيعرفون ذلك عاجلًا أم أجلًا، وستكون في محل شكهم أكثر إذا أنكرت، ولكن كيف ماتت يا سمير؟ هل كانت هناك أي أداة للجريمة؟»

«لم تكن هناك أي أداة للجريمة، يبدو أنّ القاتل قد فرّ من المنزل حاملًا معه تلك الأداة».

«ومتى كان ذلك؟»

«أظنّ في الثامنة والنصف، فقد رجعت إليها عند الساعة الثامنة والأربعين دقيقة وهي جثة هامدة، فقد تغيبت عنها في

حدود عشر الدقائق كما أخبرتك سابقًا».

«إذن فأنت اتصلت بي بعد ساعة ونصف من الجريمة».

ابتسم سمير بخبث: «لقد كنتُ أرسمها يا ناصر، فكما قلت لك: الجثة كانت بمثابة هدية كي أرسمها وأخلدها، هذا كل ما حدث».

حكّ ناصر لحيته وتحدّث بريبة: «هل أنت متأكد بأنّ هذا الذي حدث؟ ألم تقتلها يا سمير؟»

ارتعشت يدا سمير بصورة غير طبيعية، وتحدّث بارتباك: «لا يا ناصر، لقد رأيتها جثة هامدة، الشيء الوحيد الذي فعلته هو نقلها فقط».

لم يصدق ناصر ما يقوله سمير، وتحدّث بجدية: «ما يهمّ الان أن تتخلص من ثيابك التي عليها دماء الضحية بسبب نقلك لها في أسرع وقت، ولا تنسى الثياب الخاصة بمسرح الجرائم التي ارتديتها للتو تخلص منها كذلك».

«سوف أتخلص منها بكل تأكيد».

وصلا إلى حيث السيارة، وعلى الفور اتصلَ ناصر بالشرطة وتحدّث إليهم بصورة سريعة بعد أن عرّف بنفسه: «هناك جثة ملقاة في الغابة، أتمنى أن ترسلوا في طلب الدعم، أظنّ أنّ هناك من قتل الضحية ومثّل بجثتها، هذا كتقرير أولي، سأكون في انتظار الشرطة والمحقق».

كان سمير ينظر إلى ناصر وهو يتحدث إلى الشرطة وقد فتح

فمه من الدهشة، ولم يستطع أن يتمالك نفسه من الصراخ بعد أن أغلق ناصر الخط: «ماذا فعلتَ يا ناصر؟ هل تبلغ عني؟ لماذا اتصلت بالشرطة؟ دعهم يعثروا عليها لوحدهم. . .

قاطعه ناصر بهدوء: «تمالك أعصابك قليلًا يا سمير، ما بالك بدأتَ تهذي، لقد اتصلت بالشرطة لكي أثبت دليل براءتك، فعندما يأتون إلى هنا سأخبرهم بأني كنتُ أتمشى معك ورأينا سيارة مركونة بصورة غير طبيعية، وبعد التحري من الأمر رأينا الجثة، وبذلك أكون أنا حجة براءتك يا صديقي».

هدأ سمير: «هكذا إذن، إنّني لا أستطيع التعبير عن مدى شكري لك يا صديقي العزيز، شكرًا لك على المساعدة -وتحدّث وهو يبتسم- وماذا عن حقيقتك أنت؟ فقد أخبرتك بالحقيقة الكاملة».

ابتسم ناصر بصعوبة، وتحدث وكأنّه قد خرق كل القواعد التي كان ملتزماً بها، بخاصة قاعدة مستقبله المهني، فقد شعر بأنّهما في مركب واحد، ولن يستطيع سمير إفشاء أي شيء: «لا أخفيك يا سمير بأنّي سعدتُ بهذه التجربة، وفي الحقيقة لقد كنت أفكر في صنع مسرح للجريمة خاص بي، ليس فقط في الروايات كما ذكرتُ لك سابقًا، وإنّما على أرض الواقع، وذلك رغبةً من جانبي المظلم، وفي الوقت ذاته لتحدي الشرطة في معرفة ما حدث في هذا المسرح».

«لقد شككت في ذلك -بلعَ سمير ريقه بصعوبة، وتحدّث وكأنّه استدرك شيئاً للتو-ولكن هناك شيء ربما يجعل الشكوك تحوم حولي، فآخر مكان زارته الضحية هو منزلي، ألا تتوقع أن

يطلبوا زيارة منزلي اليوم وتفتيشه؟ بخاصة بعد أن يعرفوا أنّي كنت أرسمها؟».

«لا تخف، إذا أردوا تفتيش منزلك لابد وأن يحصلوا على مذكرة تفتيش، ولا يستطيعون الحصول عليها الآن، ولو فرضنا أنّهم سيزورون منزلك غدًا، ستكون أنت قد تخلصت من ملابسك التي حملتَ بها الجثة، ولا تنسَ الحلي والأموال التي كانت في حقيبة الضحية حاول أن تتخلص منها».

«إذا كان الأمر كذلك، فسأحرق كل دليل هذه الليلة، وسأرمي حليها وأموالها في البحر، فقد يزورونني في الغد، ولا أستطيع أن أتدارك الأمور حينها، هل ستكون معهم في التحقيق؟ أم سيأتي شخص آخر؟»

«لا أظن بأنّهم سيطلبون مني التحقيق معك، فأنت في النهاية صديقي، وأنا دليل براءتك، أتوقع أن يرسلوا شخصًا آخر للتحقيق في الموضوع، ولكن لا تخف لن يجدوا دليلاً على أنّ الجريمة وقعت في منزلك، بخاصة إذا تخلصتَ من كل ما أخبرتك به، وحتى الأريكة حاول أن تغسلها ببعض المحاليل، واذا حققوا معك لا تنسى ان تخبرهم بأن الضحية خرجت قبل وقت وقوع الجريمة لكيلا يزداد شكهم بك».

هزّ سمير رأسه بالإيجاب..

5

المحقق ليث

منزل المحقق ليث/ الساعة الثانية عشرة منتصف الليل. . .

استيقظ المحقق ليث – هو رجلٌ ضخم الجثة، ذو شارب عريض، يمتاز بالذكاء وهو من أفضل المحققين، طبعه كلاسيكي وقديم، يحب كل شيء يذكره بالماضي، ولكن في المقابل فهو يرجع إلى كل الدراسات الحديثة التي تتعلق بعالم الجريمة. حلَّ مجموعة من القضايا المعقدة في السابق، وقد ذاع صيته في عالم التحقيق، حتى إنّ البعض كان يسميه شارلوك هولمز البحرين- على نغمة هاتفه الخلوي، نظر إلى الهاتف بعينين نصف مغمضتين، وعندما رأى رقم مركز الشرطة تأهّب وجلس على حافة السرير، تحدّث بصوته الجهوري وقد برز شاربه الضخم أكثر: «مرحبًا».

جاءه الرد من قبل أحد أفراد الشرطة: «هناك جريمة قتل يا سيدي، لقد تم العثور على جثة لإحدى النساء في المزرعة الكبيرة في المنطقة الجنوبية أو كما يسمونها الغابة، هذه هي المعلومات الأولية للجريمة».

«لا بأس سوف أستعد للذهاب إلى موقع الجريمة بعد قليل، أتمنى أن تستدعي فريق البحث الجنائي وطاقم الطب الجنائي، وكذلك أحد الأخصائيين في علم الحشرات الجنائي، بما أنّ الجثة في الغابة».

أغلق المحقق ليث الهاتف، وعلى الفور تأهّب للخروج إلى

موقع الجريمة..

6

تحقيق في الغابة

مسرح الجريمة/ الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل...

نظر ناصر إلى سمير ببرود، وتحدث وهو ينفث الدخان من فمه: «أتمنى أن تكون أكثر ثباتًا عند حضور الشرطة والمحقق، فنحن كمحققين دائمًا ما ننظر إلى لغة الجسد أكثر من لغة الكلام، فلا تجعل جسدك يفضحك».

كان سمير يضع يديه على رأسه وهو جالس على أحد جذوع الشجر المقطوعة، وقد شعر بقشعريرة تسري في جسده بسبب الارتباك، أكثر من شعوره برعشة برودة الجو، وتحدّث وهو يحاول السيطرة على نفسه: «لا بأس يا ناصر، فأنا سأحاول أن أكون أقوى ممّا أنا عليه الآن، ولكن الذي أخشاه أن يفتشوا منزلي اليوم».

«لا تخف من هذه الناحية، فكما أخبرتك مسبقًا فهم بحاجة إلى مذكرة تفتيش، ولو افترضنا أنّ المحقق طلبَ التفتيش، لا تسمح له بالدخول إلا بمذكرة، وأنا أستبعد أن يطلب منك مثل هذا الطلب».

«وهل المحقق الذي سيحقق معي على شاكلتك؟، أعني: هل هو طيب ولطيف في المعاملة؟»

تحدّث ناصر وهو يتذكر شكل المحقق ليث ضخم الجثة،

وتحدث وقد رعشت شفتاه بعض الشيء: «أتمنى ألا يكون مَن يحقق معك ذلك المحقق الضخم، على الرغم من أنّي أتشوق أن يكون هو، فأنا واثق من أنّه لن يكتشف مسرحي الخاص».

«هل تفكر في نفسك يا ناصر وفي مسرح جريمتك؟، وكأنّك تريد تحدي الجميع به. فكّر بحالي؛ فأنا لا أعلم كيف سأجيب عن أسئلة التحقيق، ومن هو ذلك المحقق الذي تخشى أن يحقق معي؟»

«المحقق ليث..

قاطعه سمير بتلعثم: «هل هو ذلك المحقق المشهور في حل القضايا المستعصية؟ سوفَ أُعدم لا مناص».

«ما بالك يا سمير!! هل تشكّ في مقدرتي على تضليلهم بهذا المسرح المتكامل؟»

«أنا في حال وأنت في حال آخر، أنا أخشى أن أُعدم، وأنت تفكر بتحدي ذلك المحقق الضخم بهذا المسرح..

قاطعه ناصر بعصبية، وهو ينفث سحابة من الدخان: «هل جننت يا سمير؟، ألست أنت من أردت أن تدخل في هذه اللعبة؟ أرجو أن تسيطر على نفسك أكثر وألا تفضحنا، دع الأمر لي».

لم ينبس سمير ببنت شفة، وهو ينظر إلى صديقه الذي شعر بأنّه تحوّل إلى شخص آخر تمامًا..

تراءت لهما أضواء مصابيح سيارات الشرطة والتي كانت

تقترب شيئًا فشيئاً. شعر سمير بأنَّ ركبتيهِ لا تحملانه، فقد زاد ارتباكه بصورة ملحوظة، نظر ناصر إلى سمير بشيء من العصبية، وتحدّث إليه وهو يرمي بسيجارته على الأرض بقوة: «ألم أخبرك بأن تكون ثابتًا بما فيه الكفاية؟ أنت بهذه الحالة المزرية قد تفضح نفسك وتفضحني معك».

«المحقق ليث معهم؟؟»

«المحقق سيأتي بسيارته الخاصة، لا أريد منك أن تتحدث مع أي أحد من أفراد الشرطة، وانتظر حتى حضور المحقق، فإذا أراد التحدث معك فسيخبرك بنفسه، فلا داعي للارتباك الآن».

لم ينبس سمير ببنت شفة وظلّ محدقًا بناصر، ويفكّر بما سيفعله مع أفراد الشرطة..

وصلت سيارات الشرطة إلى مسرح الجريمة، وكان معهم فريق البحث الجنائي وفريق الطب الجنائي وأخصائي علم الحشرات الجنائي، وسيارة مسرح الجرائم التي ما أن نزل أفرادها حتى أحاطوا بمكان وجود الجثة وطوقوه بالشريط الأصفر، وعلى الفور نزل طاقم الطب الجنائي وبدؤوا بتفحص الجثة.

تحدّث أحد أفراد الشرطة إلى المحقق ناصر: «من الجيد بأنّك هنا؛ فهذا سيزيل عبء ثقيل عن المحقق، فأنت أعلم بعملك يا سيدي المحقق، وتعرف الأسئلة التي سوف يتم طرحها».

«بالطبع يا صديقي، ولكن من الذي سيحقق في هذه القضية؟».

وصل المحقق ليث بسيارته اللينكولن السوداء (طراز 1998)، بالقرب من مسرح الجريمة..

تحدّث الشرطي: «ها هو ذا من سيحقق في القضية، أظنّ بأنّك تعرفه من خلال شاربه الضخم».

بانت علامات الارتباك على ناصر، وتحدّث بهدوء: «المحقق ليث!!»

«أجل، أظن بأنّه سيفرح بوجودك هنا، فكما أخبرتك مسبقًا سوف تخفف عنّا بعض الأعباء».

لم ينبس ناصر ببنت شفة، وظل محدقًا في المحقق ليث، الذي ما أن نزل من سيارته حتى ذهب لتفقد فريق الطب الجنائي لمعرفة كل شيء يخص الجثة، وبعد أن تعرف على اسم الضحية وبياناتها، تحدّث إلى أحد أفراد الطب الجنائي وهو ينظر إلى الجثة: «من خلال المعطيات الأولية أظن بأنّ الوفاة كانت بسبب هذه الضربة التي من خلف الرأس، ولكن ما هو الوقت المقدر للوفاة؟»

تحدّث أحد أفراد طاقم الطب الجنائي وهو يمسك ببعض الأوراق الخاصة: «الوقت المقدر هو بين الثامنة والعاشرة – وتحدّث وهو متردد – ولكن هناك شيء غريب في أمر هذه الجثة».

نظر المحقق ليث إلى محدثه بصورة مباشرة: «ماذا هناك؟

تحدّث حتى وإن كانت فرضية».

«أظن بأنّ هناك من تلاعب في وقت الوفاة، فالجثة تعرضت لتيبس متأخر بعض الشيء على الرغم من وفاتها قبل ثلاث ساعات تقريبًا».

«مثير، ولكن ألا تعتقد بأنّ السبب يعود إلى هذا الجو البارد؟»

«ربما، فبرودة الجو قد تؤثر على تيبس الجثة، ولكن». وتردّد مرة أخرى.

تحدث المحقق ليث بحماس: «ولكن ماذا؟ لقد أخبرتك للتو تحدّث، وإن كانت فرضية، فهذه الفرضيات قد تدلنا على المجرم».

«لقد كُسرت ساعتها، وتوقفت عند الساعة الحادية عشرة».

«أنت تظن بأنّ هناك تلاعباً في وقت الوفاة إذن».

«نستطيع قول ذلك، ولكن ما رأيك؟»

«لا يمكننا أن نستبق الأحداث، ولكن ربما تكون ساعتها قد كُسرت عند سقوطها، ولكنّها توقفت بعد فترة، فكل شيء ممكن –نظرَ إلى أخصائي علم الحشرات– وماذا عن الحشرات التي قد تدلنا على الوقت المقدر، أو على دورة حياتها على هذه الجثة؟»

«هناك خطبٌ ما يا سيدي المحقق، أظنّ بأنّ القاتل قد وضع مرهماً للحشرات على فتحات الجثة، ولهذا السبب لم ينجذب

إليها أي نوع من الذباب حتى الآن وكل ذلك بسبب هذا المرهم».

نظر المحقق ليث إلى الجثة مجددًا وقد صُدم مما سمع، وتحدّث لأخصائي الحشرات: «هذا يعني بأنّ القاتل قد وضع هذا المرهم لإبعاد الذباب مكتشف الجثة، وكذلك الحشرات الأخرى، ولكن لماذا فعل كل هذا؟ هل لكيلا نكتشف الوقت التقديري للوفاة من خلال تحليل دورة الحشرات الطبيعية عليها؟، يبدو بأنّ هناك خطبًا ما، -نظر إلى فريق الطب الجنائي- وماذا عن الإصبعين المبتورين؟»

تحدث أحد أفراد الطب الجنائي: «أغلب الظن بأنّ الضحية قد غرست ظفريها في جسد القاتل، ولذلك تخلّص القاتل من الإصبعين من أجل ألا نتعرف على حمضه النووي إذا ما كان هناك أثر للجلد وللشعر».

تحدّث المحقق ليث وهو مندهش: «هذا المجرم قد خطط لجريمته بصورة دقيقة، فقد أخفى كل دليل يدعو لإدانته، ولا أظنّ بأنّه غفل عن لبس القفاز بعد ضربه للضحية بهذا الغصن الذي هو في أغلب الظن أداة الجريمة، ولهذا أشك بأن تكون هناك بصمات على هذا الغصن».

أضافَ المحقق ليث وهو ينظر إلى فريق البحث الجنائي: «أرجو منكم العثور على أي أثر أو بصمة تدل على القاتل».

أشار الفريق بالإيجاب..

اتّجه المحقق ليث إلى أحد أفراد الشرطة وسأله: «من هو

مكتشف الجثة؟»

ابتسم الشرطي: «إنّه زميلك يا سيدي المحقق».

«زميلي!!».

«أجل، إنّه المحقق ناصر».

«ناصر!! وما الذي يفعله هنا؟»

«يبدو بأنه برفقة صديقه الرسام سمير الذي يسكن في هذه المنطقة».

أشار المحقق ليث بالإيجاب وهو يتجه إلى ناصر وسمير، وما أن وصل إليهما حتى بانت علامة الارتباك على سمير. ابتسم المحقق ليث ورحّب بكل من ناصر وسمير، وتحدّث بلطف: «إذن أنت من اكتشف الجثة يا ناصر».

«أجل يا ليث، لقد كنتُ أتمشى مع صديقي سمير كعادتنا في بعض الليالي، وبينما نحن نسير لاحظنا سيارة مركونة بصورة خاطئة وكأنّها تعرضت لحادث، وبعدها وجدنا جثة تلك المرأة المسكينة، وبعد تحسس النبض تبيّن بأنّها قد فارقت الحياة».

«إذن هي كانت تقود السيارة وقطع طريقها المجرم، مما جعلها تنحرف وبعدها قتلها ومثّل بجثتها».

«أغلب الظن هذا ما حدث».

«ولكن ألا ترى الموضوع غريباً بعض الشيء يا ناصر؟»

شعر ناصر بحركة عضلة خده اليمنى التي خاف أن تفضحه،

وتحدّث بثبات: «وما الغريب؟»

«على سبيل المثال: كيف لامرأة مرتبكة وقد أوقفها المجرم أن تطفئ محرك سيارتها وتنزل، أليس من الطبيعي أن تتركها تعمل وتهرب بسرعة بخاصة بعد أن أوقفها المجرم في هذا المكان المظلم؟!».

رعشت يد ناصر الذي نسيَ هذه النقطة، وتحدّث وهو يبتسم: «ربما أطفأها القاتل لكيلا يلاحظها أحد بصورة واضحة».

«ربما؛ بما أنّك زميل عمل، فأنت سوف تخفف عني عبْء معرفة التفاصيل -تحدَّث برسمية أكثر- ما هو الهدف من الجريمة برأيك؟»

«السرقة أغلب الظن، فإذا كان قد اعترضها قاطع طريق، فهو بالطبع سيسرق كل ما هو ثمين في هذا الظلام الدامس».

«إذا كان الهدف السرقة فلماذا قتلها؟ فكما تعلم قاطع الطريق يهدد المارة عادةً، وإذا شعر بالخطر فإنّه إمّا يهرب أو يقاتل، فهل تظن بأنّ هذه المرأة قاومت قاطع الطريق مما تسبَّب في مقتلها؟»

«أجل يا ليث، يبدو بأنّ الأمر لم يسر كما كان يريد قاطع الطريق، ممّا تسبّب في مقتل هذه المسكينة، وكما تعلم هذه كلها فرضيات في نهاية الأمر».

«بالطبع فرضيات يا ناصر، فالجريمة التي حدثت هنا هي جريمة قتل وليست سرقة بالإكراه، والذي يجعلني متأكداً من أنّها جريمة قتل هي مهارة القاتل في محاولته لإخفاء كل ما

يدل عليه –وتحدّث بغموض- فهل يحمل معهم قطاع الطرق مرهماً لمنع دخول الحشرات إلى الجثة؟».

توقّع ناصر أن يعرف المحقق ليث بأمر المرهم، وتحدّث بهدوء: «إذا كان الأمر كذلك فهناك خطبٌ ما بكل تأكيد، ولكن هل تتوقع بأنّنا أمام مجرم مهووس بالقتل، وقد نفذ جريمته الأولى؟».

نظر سمير إلى هدوء ناصر وقد شعر بأنّه ممثل بارع بخاصة أمام ذلك المحقق المعروف بفطنته وذكائه، كان يتمنى ألا يخاطبه ذلك المحقق، فقد يتعرف على رعشة يديه بصورة سريعة حتى وإن حاول إخفاءها.

تحدث المحقق ليث وهو يبتسم: «هل تقصد بأنّنا أمام قاتل متسلسل؟، وقد بدأ بهذه الضحية – وزادت ابتسامته – ربما يكون كذلك ولكنّها فرضية وتنبؤ غريب بعض الشيء – نظر إلى سمير – هل حدثت أي جريمة قتل أو سرقة من قبل بخاصة وأنّك من سكان هذه المنطقة المعزولة يا سيد سمير؟»

تلعثمَ سمير بعض الشيء من تحول نظرات المحقق ليث نحوه: «لا، لم أسمع بأي جريمة قتل، وأمّا بالنسبة للسرقة فقد تمّت سرقة بعض أدوات الزراعة من منزلي في السابق، وهي تعتبر سرقة بسيطة مقارنة بما فعله المجرم هنا».

«بالطبع لا تقارن –ونظر إليه بعينين نصف مغمضتين- وهل تعرف هذه المرأة؟ فقد تكون قد رأيتَ سيارتها من قبل، أو رأيتها مصادفة بينما أنت بجانب منزلك».

مرت نسمة باردة على سمير جعلت من جسده يرتعش بصورة غير طبيعية، كان يحاول السيطرة على نفسه، فقد أعدّ نفسه مسبقًا لمثل هذا السؤال، ولكنّه لم يستطع أن يتذكر كل شيء، تحدّث وهو يتصنع رباطة الجأش: «لقد كانت إحدى زبائني..

قاطعه المحقق ليث بعد سماعه لكلمة زبون: «هل هذه زبونتك؟ هل تقصد بأنّها تشتري من عندك اللوحات؟»

جفت العروق في وجه سمير، وقد بدا أصفرَ بسبب هذه المقاطعة المفاجئة، وتحدّث بهدوء: «هذه المرأة كانت تزورني كل أسبوع تقريبًا لكي أرسمها».

«إذن فقد كانت عندك اليوم».

«أجل».

«متى خرجت من منزلك؟»

تذكر سمير ما قاله ناصر، وهو أن يخبرهم بوقت يكون قبل وقت وقوع الجريمة في منزله، وعلى الفور أجاب: «عند الساعة الثامنة والربع مساءً».

«هل شعرت بأنّ هناك شيئاً غير عادي في تصرفاتها؟»

«لقد كانت عصبية المزاج، وأغلب الظن بأنّ هناك خلافاً بينها وبين زوجها، فقد قالت بأنّها قد تشاجرت معه قبل خروجها من المنزل».

تحدّث المحقق ليث وقد بانت نبرة الشك على حديثه: «وكيف عرفتَ كل هذه التفاصيل؟»

ابتسم سمير: «لقد كنتُ أطلب منها الابتسامة لكي أرسمها مثلما كان وجهها خلال الأسابيع الفائتة، فملامح الوجه كلها تتغير إذا تغيرت الابتسامة إلى عبوس، ولهذا السبب أخبرتْني بكل ما حدث بينها وبين زوجها».

«وهل عرفتَ سبب الخلاف؟»

زادت ابتسامة سمير: «الغيرة، فقد كان زوجها من النوع الغيّور إلى أبعد الحدود، حتى إنّه كان يراقبها بعض الأحيان من خلال البستاني الذي يعتني بحديقتي».

«وهل البستاني يكون موجوداً في الليالي؟»

«لا، ولكنّها كانت تأتي صباحًا بعض الأحيان وخاصةً أيام العطل، وقد كان البستاني يدخل علينا بعض الأحيان بقصد سقاية الأشجار الداخلية، وقد شككت به لتكرار ما يفعله بخاصة عند حضور سعاد».

«وهل واجهته؟ أم أنّك تشك به وحسب؟»

«لقد واجهته، وقد اعترفَ لي بأنّه كان يراقبنا مقابل مبلغ من المال، وقد أقسم لي بأنّه لن يكررها، ولكنّي طردته من العمل بسبب هذا التصرف المشين، فقد شعرتُ بأنّه قد يفعل أي شيء من أجل المال».

«وهل تعرف رقم التواصل معه؟ فقد نحتاج إلى معرفة بعض المعلومات منه».

«أجل بالطبع أعرف – وتحدّث وهو يلتفت يمينًا وشمالًا –

أظنّ بأنّه هو من سرق أدوات الزراعة الخاصة بي».

«وهل واجهته بذلك أيضًا؟»

«لقد شككتُ فيه يومها، فقد بدا مرتبكًا بصورة غير طبيعية، ولكنّي لم أهتم للأمر، فقد كانت مجرد أدوات بسيطة، ولا تستدعي إبلاغ الشرطة بالأمر».

«شكرًا على تعاونك يا سيد سمير، أتمنى أن تعطي أحد أفراد الشرطة رقم التواصل معك وعنوانك، فقد نستدعيك أو نزورك في منزلك إذا تطلّب الأمر، وسوف يأخذ الشرطي بصماتك وعينة من حمضك النووي، كإجراء وذلك لتواجدها معك قبل مقتلها، ولا تنسَ أن تعطيهم عنوان ورقم التواصل مع البستاني- قال كلماته الأخيرة وهو يشير إلى أحد أفراد الشرطة، وجّه نظرهُ إلى ناصر- متى اكتشفتما الجثة بالتحديد؟»

«عند الحادية عشرة والنصف تقريبًا».

تحّدث المحقق ليث برسمية أكثر وهو يتمشى مع ناصر مبتعدين عن سمير: «اعذرني يا ناصر، صحيح بأنّك زميل عمل، ولكنّك تعتبر الآن مكتشف الجثة، ووجب التحقيق معك».

ابتسم ناصر ابتسامة صفراء: «لا بأس يا ليث، فهذا عملك».

«لقد أخبرتني بأنّك كنتَ تتمشى مع سمير ولاحظتما السيارة مركونة بشكل غير طبيعي، فهل لاحظتَ أي سيارة أخرى مرت

بجانبكما أو كانت قريبة من مسرح الجريمة؟»

«لقد مرت بجانبنا سيارة (مرسيدس بيضاء) أظنّ بأنّها طراز (2006)، ورقمها يبدأ بـ (254) وقد كانت مسرعة، كان ذلك قبل أن نلاحظ السيارة بدقائق، ولكن قد تكون مرت عن طريق المصادفة».

«كما تعلم يا ناصر كل شيء هام حتى وإن كان فرضية، ولكن كيف لاحظت ذلك بتلك السرعة وأنت تتمشى على هذا الطريق؟ أعني هل تلاحظ كل السيارات بالعادة؟»

ارتبك ناصر من هذا السؤال الأقرب إلى الشك، وتحدّث وهو يبتسم: «هذا الطريق نادرًا ما تمر عليه السيارات، والأمر الآخر فأنا من عشاق سيارة (المرسيدس)، ولهذا السبب لاحظتها بصورة دقيقة نوعًا ما».

«هكذا إذن، يبدو بأنّكما تمارسان رياضة المشي دائمًا على هذا الطريق، ولهذا السبب تعرف بأنّ السيارات نادرًا ما تمر من هنا».

«أجل يا ليث، فنحن نلتقي كل أسبوع وبعض الأحيان كل يوم، نتعشى وبعدها نتمشى على هذا الطريق الهادئ».

«وهل كنت مع سمير عندما كان يرسم تلك السيدة؟»

«لا، لقد زرته عند العاشرة والنصف تقريبًا، فأنا أتحاشى أن أكون معه عندما يرسم؛ فهو بطبعه يحب العمل بهدوء تام، ولا يحب أن يكون معه أحد، فهذا قانونه الخاص الذي فرضه على أصدقائه». قال كلماته الأخيرة وهو يبتسم.

«هل لاحظت أي شيء غريب في موقع الجريمة؟ أعني أي ملاحظة مبدئية من خلال خبرتك كمحقق؟»

«لقد لاحظت الضربة التي تلقتها على رأسها والتي من المحتمل أن تكون بسبب غصن ضخم، كما ولاحظت إصبعين مبتورين، وأغلب الظن بسبب مقاومتها للمجرم، ولم يكن هناك أي شيء غريب يدعو للريبة، فعلى ما يبدو بأنّها تعرضت لهجوم من قاطع طريق كما ذكرتُ لك مسبقًا».

نظر إليه بدقة، وتحدّث بعينين نصف مغمضتين: «هل شعرت بأنّ سميراً مرتبك عندما اكتشفتما الجثة؟»

حاول ناصر أن يجمع رباطة جأشه، وتحدّث بهدوء: «لقد تعرّف عليها، وقد كان خائفًا بسبب رؤيته لجثة حقيقية لأول مرة –ونظر إليه وهو يبتسم– أمّا إذا كان قصدك بأنّ سميراً هو من قتلها، فأنا أستبعد الموضوع، ليس لأنّه صديقي، ولكن لعدم قدرته على تنفيذ مثل تلك الجريمة البشعة».

«هل أنت بحاجة لأن أذكّرك بما كنّا ندرسه يا ناصر؟ لا تغرّنك المظاهر، فقد يكون مرتكب الجريمة بعيداً عن الشبهات، وبعيدًا عن كونه صديقك أو لا، فهو يعتبر مشتبهاً به، فقد كان آخر من التقى بها».

رعشت يد ناصر بصورة خفيفة، وتحدّث برسمية: «معك حق يا صديقي، ولكن كما تعلم فإنّ علاقتي بسمير قديمة، وأنا أعرف بأنّه ليست لديه أي ميول إجرامية، ولهذا السبب كنتُ أود أن أخفّف عنكم عبء التحقيق مع أحد المشتبه بهم إن صحّ

التعبير، ولكن يبقى العمل عملاً، ولا مجال للصداقات فيه».

«أحد المشتبهين بهم؟!! هل تعني بأنّ هناك آخرين؟»

«أجل يا صديقي، فمن خلال تحقيقك البسيط مع سمير، فقد استنتجت -وأظنّ بأنّكَ أيضًا وصلتَ إلى مثل هذه النتيجة- وهي أنّ زوج الضحية يعتبر مشتبهاً به، وقد يكون البستاني أيضًا لحقده عليها، فقد تمّ طرده بسببها».

«استنتاج مثير يا ناصر! فعلًا لقد وضعتَ فرضية بأن يكون القاتل هو زوجها بسبب غيرته القاتلة، ولكن ما زالت هذه الفرضية سابقة لأوانها، فبعد التحقيق معه سوف تتضح بعض الأمور، وأمّا بالنسبة إلى البستاني، فأنا لم أضع أي احتمال للشك به، ولو كان ينوي القتل لقتلَ سميراً عوضًا عن سعاد».

ابتسم ناصر وهو يبعد الشبهات عن سمير، وتحدّث في محاولة لتشتيت أفكار المحقق ليث: «ولمَ لا؟ فربما كان ينوي أن يتم اتهام سمير فيما حدث هذه الليلة، ولهذا السبب قتلها، ويكون قد رمى عصفورين بحجر».

«خيالك جميل يا ناصر، وتحليلك قد يكون أقرب إلى الأفلام، ولكن سوف نحقق معه هو الآخر، فكل الاحتمالات واردة. مهما يكن من ارتكب هذه الجريمة فقد خطّط للجريمة بصورة دقيقة، فمسح فتحات الضحية بالمرهم، وكذلك تحريك الساعة إلى الحادية عشرة مساءً وضربها لتتوقف عند ذلك الوقت، كلها محاولات لتشتيت مجرى التحقيق، ومحاولة لزرع أدلة غير حقيقية، وهذا يدل على أنّنا أمام مجرم محترف إذا

صحّ التعبير».

شعر ناصر بالاعتزاز بهذه الكلمات التي تمتدح مسرحه، وتحدّث بتملق: «ولكنّك ستستطيع أن تجد ذلك المجرم مهما كان محترفاً، فأنت معروف بحل القضايا الصعبة».

رجعا إلى حيث يقف سمير، وتحدّث المحقق ليث إلى سمير: «أتمنى ألا تغادر البلاد خلال هذه الأيام، فقد نحتاجك للتحقيق كما ذكرتُ لك مسبقًا – وابتسمَ بغموض – من الجيد بأنّ ناصراً كان معك هذه الليلة، وإلاّ لكنتَ أنت أول مشتبه به في هذه الجريمة، يمكنكما الذهاب».

ارتعدت أوصال سمير، ولم ينبس ببنت شفة وهو يهم بالرحيل مع ناصر..

اتّجه المحقق ليث إلى مسرح الجريمة مجددًا لتفقد أي جديد، وما أن وصل حتى تحدّث أحد أفراد الطاقم الجنائي: «لقد عثرنا على الإصبعين المبتورين، وسوف نرسلهما للتعرف على ما يحتويانه».

«جيد، فقد يكون هناك ما يدل على المجرم على الرغم من استبعادي لذلك، فمن فعل هذه الجريمة قد خطط لكل شيء، ولا أظن بأنّه غفل عن أمر إخفاء الإصبعين بصورة أكبر».

نظر المحقق ليث إلى أحد أفراد الشرطة: «هل أبلغتم زوج المتوفاة بأن يحضر في الغد للتعرف على الجثة، وللمثول أمام التحقيق؟»

«أجل يا سيدي المحقق، لقد أخبرناه بما حدث». وتردّد بعض

الشيء..

«ما الخطب يا صديقي؟»

«لقد كان ردّه بارداً إلى أبعد الحدود، ولم أشعر بأنّه قد تأثر ممّا سمعه».

«ربما من تأثير الصدمة، فبعض الأحيان لا يتقبل المرء ما حدث بصورة طبيعية، وبعد مرور الوقت يفيق ويستوعب ما حدث –وتحدّث بريبة– وقد يكون بسبب حقده عليها، سوف نعرف كل شيء عندما يحضر إلى التحقيق».

7

الخيانة

الطريق العام / الساعة الواحدة والربع بعد منتصف الليل..

نفث هشام الدخان من فمه للمرة الثانية وهو يجوب الطريق العام بسرعة متوسطة، كان ينظر إلى الطريق وهو شارد الذهن ويشعر بشيء من الراحة وكأنّ همًا قد زال عن كاهله، ابتسم بغموض وهو يتذكر ما أخبره به الشرطي منذ قليل بأنّ زوجته قد قُتلت.

تلقّى الخبر بكل سرور، ولم يفكر حتى في تصنع البكاء أو النحيب، فهي تستحق الموت في اعتقاده، وكان يعزي نفسه بأنّها خانته بصورة متكررة مع ذلك الرسام، ولابد للخائن من أن يموت، وليس أي ميتة، لابد أن تكون ميتة غير اعتيادية لكي تكون عبرة لمن لا يعتبر.

وصل إلى منزله وأوقف سيارته (المرسيدس البيضاء) في موقفها الخاص، وترجّل من السيارة وما زالت الابتسامة تعلو محياه..

8

وهم

سطح منزل سمير/ الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل...

نظر سمير إلى النار التي تلتهم ثيابه المغطاة بالدم، وقد بانت عليه علامات النشوة، فها هو ذا قد حقق حلماً كان يحلم به منذ زمن، بدأ يضحك بشكل هيستيري وبصوت مرتفع.

مرت عليه نسمة هواء باردة جعلت من يديه ترتعشان، وقد لاحَ في مخيلته وجه ذلك المحقق الضخم، أخذ يجوب سطح منزله وقد تحولت ابتسامته وضحكاته إلى خوف غير طبيعي. نظر إلى الأسفل ورأى شبح سعاد وهو يتمشى في حديقته، فرك عينيه، ونظر مجددًا ولم يرَ شيئاً.

رجع بضع خطوات ونظر مجددًا إلى النار التي بدأت تخمد، ورجع الظلام الدامس يغطي المكان، زادت رهبة الخوف عنده، وشعر بأنّه قد يصاب بنوبة الهلع التي كانت تصيبه من قبل بين الفينة والأخرى. فتح باب السطح بعد أن تأكّد من جمع رماد النار التي أضرمها، ودلفَ إلى منزله ومازالت علامات الخوف تسيطر على جسده.

9

التحقيق

في اليوم التالي/ مكتب المحقق ليث/ الساعة التاسعة صباحًا..

نظر المحقق ليث إلى هشام -الذي كان وجهه خالياً من أي تعبير- للمرة الثانية وهو يتأكد من بياناته الشخصية، وتحدّث إليه بصوته الرخيم: «تعازيّ الحارة لوفاة زوجتك يا سيد هشام». قال كلماته الأخيرة وهو يلاحظ لغة جسد محدثه الذي لم يتغير بتاتًا، ولم يشعر بأنّه متأثر قيد أنملة على الرغم من رؤيته لجثة زوجته للتو.

تحدّث هشام بهدوء: «أشكرك يا سيدي المحقق على هذه المشاعر الطيبة، يمكنك أن تبدأ في التحقيق إذا أردت –ونظر إليه بجدية- أظنّ بأنّكم تريدون معرفة بعض المعلومات، وأنا جاهز للتحقيق، فأنا مثلكم أريد أن أتعرف على قاتل زوجتي بتلك الطريقة الوحشية».

لاحظ المحقق ليث نبرة هشام التي لم تتغير، فقد كانت طبيعية ولا يوجد فيها أي نوع من الغضب أو العصبية، كما هو حال من يطالب بالثأر. تحدّث المحقق ليث بجدية: «بالطبع أنتَ هنا لنحقق معك ولمعرفة بعض المعلومات، فكما تعلم فإنّ زوجتك قُتلت في ظروف غامضة، ولابدّ من التعرف على ملابسات القضية والتي قد تكشف لنا بعض الغموض. أريد منك أن تخبرني كل ما أطلبه منك بدقة، فأي معلومة -إن

كانت بسيطة بالنسبة لك- فهي هامة للتحقيق -كحّ ليث وكأنّها بداية التحقيق- هل تشك في أحد يا سيد هشام؟»

تحدّث هشام وقد بانت نبرة الغضب واضحة في صوته: «أشك!! أكاد أكون متيقناً بأنّ ذلك الرسام هو من قتلها».

تعجّب المحقق ليث من تبدّل نبرة هشام والتي أحسّ بأنّها تنم على حقده على ذلك الرسام أكثر من شكّه. تحدّث إليه بكل هدوء: «ولماذا تشكّ في ذلك الرسام؟»

قطّب هشام جبينه، وتحدّث وقد أصبح وجهه أحمر: «لأنّهما -تردّد بعض الشيء- لأنّهما كانا على علاقة قديمة، ولربما حاول إعادتها وزوجتي رفضت ذلك، فقتلها».

فتح المحقق ليث عينيه على اتساعهما، ومال بجسده بصورة غير إرادية ناحية مكتبه، وتحدّث بنبرة يكسوها الشك: «علاقة!!».

«أجل يا سيدي المحقق، لقد كانت هناك علاقة بين زوجتي وذلك الرسام المعتوه قبل زواجها بي».

«وهل كان هناك أي خلاف بينهما حالَ دون وصول تلك العلاقة إلى الزواج؟»

ابتسم هشام بخبث: «لقد رفضتهُ بسبب فقره، وأظنّ بأنّه وجد الفرصة المناسبة للانتقام من فتاة أحلامه التي رفضته».

أسندَ المحقق ليث ظهره على الكرسي، وما تزال ملامحه توحي بالذهول، وتحدّث بهدوء: «هذا مثير يا هشام؛ هذه

المعلومة هامة جدًا –حرّك شاربه العريض- ولكن لماذا البارحة؟ لماذا لم يقتلها من أول زيارة لها؟»

تلعثمَ هشام بعض الشيء: «ربما كان ينتظر الوقت المناسب، أو كان في مرحلة التخطيط».

«ممكن –تحدّث بعينين نصف مغمضتين– لقد عرفنا من مصادرنا الخاصة بأنّك كنتَ تراقب زوجتك عن طريق البستاني، فهل حصلتَ على أي شيء قد يساعدنا في التحقيق؟»

تعجّب هشام من هذه المعلومة، وشعر بتعرق مفاجئ: «لقد أخبرني بأنّ الرسام كان يلاطفها أحيانًا ببعض الكلمات، ويحاول إعادة علاقتهما القديمة، ولكن زوجتي كانت ترفض ذلك الفعل المشين –تنهّد بعمق– لقد تمّ كشف ذلك البستاني، وطردهُ ذلك الرسام اللعين».

«سوف نحقق مع البستاني وسنتعرف أكثر على المعلومات التي قد تكون مفيدة للتحقيق –نهضَ المحقق ليث، وأخذ يجوب المكتب ذهابًا إيابًا– وماذا عن علاقتك بزوجتك يا سيد هشام؟ هل كان هناك أي خلاف أو ما شابه؟»

رعشت يدا هشام بصورة لا إرادية، وتحدّث وهو يحاول تمثيل دور الحزين: «لقد كنّا على وفاق تام، ولم يكن بيننا أي نوع من المشاكل».

«إذا كان الأمر كذلك، فلماذا جعلتَ من البستاني يراقب ما يحدث مع ذلك الرسام؟ ألا ترى بأنّ ذلك يناقض مبدأ الثقة بين

الزوجين؟»

زادت رعشة يد هشام، وتحدّث وهو يحاول البقاء على رباطة جأشه: «الغيرة يا سيدي المحقق، الغيرة بعض الأحيان تعمي العين والقلب، وتجعل منك شخصاً آخر تمامًا، فأنا لم أكن متقبلاً أن تذهب إلى ذلك الرسام، ولكن هي أصرت على ذلك، وهذا الذي فطر قلبي».

هزّ المحقق ليث رأسه، وتحدّث بلطف وهو يتجه ناحية شباك المكتب المطل على مواقف السيارات: «أتفهم شعورك يا هشام، فالغيرة أحيانًا تجعل من الإنسان شخصاً مختلفاً تمامًا -لاحظ سيارة مرسيدس بيضاء يبدأ رقمها 254، وتحدّث بنبرة يسودها الشك- إلى درجة أن يكون قاتلًا – وجّه نظراته تجاه هشام وقد قطّب جبينه- أين كنت الليلة الماضية بين الساعة الثامنة والعاشرة؟»

تعجّب هشام من هذا التغير المفاجئ، والذي زاد استغرابه هو ذلك السؤال المباشر والغريب، تحدّث وهو يحاول أن يسيطر على رعشة ركبتيه: «كنتُ في المنزل، وبعدها خرجت أتجول في الشوارع».

«تتجول في الشوارع؟!!»

«أنا يا سيدي المحقق أعمل في تجارة العقارات، وبعض الأحيان أتجول في الشوارع للبحث عن أرض للبيع أو منزل أو مبنى».

«هكذا إذن -وتحدّث بنبرة شك- ويبدو بأنّ هناك أراضيَ

بالقرب من منزل الرسام؟»

حاول هشام النهوض ولكنّ ركبتيه لم تطيعاه، وتحدّث بتلعثم: «منزل الرسام؟!! ماذا تقصد يا سيدي المحقق؟»

«لا تراوغ يا هشام، لقد تمّ رصد سيارتك بالقرب من مسرح الجريمة، فهل ستنكر ذلك؟»

شعر هشام بدوار وكأنّ كل شيء في مكتب التحقيق يدور، حاول أن يتحدث بهدوء: «نعم الآن تذكرت، لقد مررتُ بالفعل من ذلك المكان –وتحدّث وكأنّه لم يفهم ما يصبو إليه ذلك المحقق- وماذا في ذلك؟ فتلك المنطقة شبه نائية تقريبًا ويوجد بها أراضٍ زراعية كثيرة وبالإمكان استثمارها».

«لا تمثل عليّ دور الغبي يا هشام، فقد مررتَ بمسرح الجريمة بكل تأكيد، وبالطبع لاحظتَ سيارة زوجتك المركونة في جانب الطريق».

«لقد مررتُ على ذلك الطريق بالفعل، ولكن ليس في الوقت الذي أخبرتني به، فقد كانت الساعة الحادية عشرة والربع تقريبًا، ولا أذكر بأنّي لاحظت أي سيارة مركونة».

جلس المحقق ليث على كرسيه بصورة سريعة وقد بانت عليه علامات التعجب، وتحدّث بنبرة شك: «هل أنت متأكد من أنّك مررت على ذلك الطريق ولم تلاحظ وجود سيارة؟»

«أجل يا سيدي المحقق، وأذكر بأنّ الساعة كانت تشير إلى الحادية عشرة والربع، فقد سجلتُ رقم إحدى الأراضي على هاتفي الخلوي في ذلك الوقت -أخرج هاتفه- إذا أردتَ

التأكد».

«هذا ممكن – وتحدّث بنبرة شك- وربما لم تلاحظ السيارة، فبعض الأحيان يكون تركيز الشخص على شيء معين، ممّا يترتب عليه عدم رؤيته لبعض الأشياء، ولكي أوضح لك المسألة: بعض الأحيان قد تنظر إلى هاتفك لمعرفة من أرسل إليك الرسالة، وتكون أرقام الساعة كبيرة وواضحة ولكنك لا تلاحظها لأنّ تركيزك كان على الرسالة فقط، وهذا ما حصل لك، فأنتَ كنت تركز على لافتات الأراضي للبيع، وربما لم تلحظ السيارة –وتحدّث بغموض- أو لم تكن ترغب في رؤية السيارة».

لم ينبس هشام ببنت شفة، وظل محدقاً في ذلك المحقق ضخم الجثة. . .

«لقد تمّ اعتراض سيارة زوجتك من قبل القاتل، وبعدها قتلها بتلك الطريقة الوحشية، وأغلب الظن بأنّ القاتل كان مخططاً لتلك الجريمة، وذلك من خلال معطيات مسرح الجريمة، هل فهمتَ قصدي يا هشام؟»

فتح هشام عينيه على اتساعهما، وتحدّث بتلعثم: «ما الذي تقصده يا سيدي المحقق؟»

«ألم تعترض سيارة زوجتك يا هشام وقمتَ بجريمتك، وبعدها رجعتَ وكأنّ شيئًا لم يكن، وكأنّك تبحث عن أراضٍ في تلك المنطقة شبه النائية؟». كان المحقق ليث يحاول أن يستدرج منه فلتات اللسان التي قد ينطق بها أثناء ارتباكه من خلال

إلقاء التهم المباشرة عليه.

رعشت عضلة خده اليسرى بصورة واضحة: «ما الذي تقوله يا سيدي المحقق؟ لقد مررتُ كما قلت لك عند الحادية عشرة والربع، ولم ألحظ أي سيارة، وكيف تتهمني هذا الاتهام المباشر – وتحدّث بتحدٍّ – هل تملك دليلاً على أنّي من قتلها؟»

سيطر المحقق ليث على غضبه وتحدّث بهدوء: «لا نملك الدليل، ولكن نحن ننتظر ما ستخبرنا به الإصبعين المبتورتين، فقد تكونا دليلاً على القاتل».

لم ينبس هشام ببنت شفة...

«لقد انتهى التحقيق عند هذا الحد، أرجو ألا تسافر خلال فترة التحقيق فقد نحتاج إليك في أي وقت. الشرطي في انتظارك في الخارج، وسوف يأخذ بصماتك وعينة من حمضك النووي».

هزّ هشام رأسه بالإيجاب دون أن ينطق بأي حرف، وهمّ بالخروج من مكتب التحقيق..

رفع المحقق ليث سماعة الهاتف، وتحدّث إلى الشرطي المناوب: «أرجو أن تستدعي البستاني للمثول أمام التحقيق»..

10

البستاني

منزل البستاني/ الساعة العاشرة صباحًا...

حرك البستاني -الحاج أحمد- لحيته الرمادية الكثة، وقد سرح في مكان آخر، كان مرتبكاً بصورة غير طبيعية إلى درجة أنّه لم يلاحظ الماء الذي ملأ أصيص الأزهار التي كان يسقيها..

ومضت في مخيلته للمرة الثانية صورة لجثة مضرجة بدمائها، حرَّك رأسه على الفور في محاولة لإبعاد تلك الصورة، وقد أدركَ حال الماء الذي ملأ الأصيص، وعلى الفور رفع خرطوم الماء، وهو يتنهّد بعمق، وقد شعر بأنّ حالته النفسية قد بدأت بالتدهور..

أصدرَ هاتفه الخلوي نغمته المزعجة نوعًا ما، والتي كانت تزعج جميع من يسمعها. نظرَ إلى الرقم الغريب بغير اهتمام، فقد اعتاد على تلك الأرقام التي تطلبه بين الفينة والأخرى للعمل في مزارع أصحابها الخاصة، أو للمساعدة في تقليم بعض الأشجار. ردَّ ببروده المعتاد، وما أن سمع الصوت المقابل حتى تسمَّر في مكانه..

تحدّث بقليل من الارتباك: «نعم يا سيدي الشرطي أنا أحمد هاني، ما الأمر؟»

أجابه الشرطي المناوب: «المحقق ليث يريد التحقيق معك في قضية مقتل السيدة سعاد».

زاد ارتباك الحاج أحمد: «سعاد!! وما دخلي في الموضوع؟»

«إذا حضرتَ إلى التحقيق ستعرف كل شيء؛ هل بإمكانك الحضور اليوم؟»

«لا بأس، أمهلني ساعة واحدة فقط».

أخبرَ الشرطي الحاج أحمد عن مكان مكتب التحقيق، وكيفية الوصول إليه..

أغلق البستاني الهاتف وقد سرح في مكان آخر تمامًا، ورجعت إلى مخيلته صورة الجثة المضرجة بدمائها. حرَّك رأسه بصورة غريبة، ولم يعلم: هل هي حقيقية أم مجرد وهم؟ فقد كان يتخيل بعض الأمور، ولكن هذه هي المرة الأولى التي يتوهم فيها جثة مضرجة بدمائها..

تذكّر كلمات الطبيب النفسي الذي يعالجه، والتي ما زالت ترّن في أذنيه، بأنّه مصاب بمرض الوهم، وأغلب الظن بأنّه ورثه من والده..

11

خيال أم واقع

مكتب التحقيق/ الساعة الحادية عشرة والربع صباحًا. . .

نظر البستاني أحمد إلى وجه المحقق، وخاصةً إلى شاربه المميز وهو في غاية الارتباك، كانت لحيته الرمادية تهتز بصورة واضحة، وهو يحاول إكمال بيانته الشخصية التي كان يمليها على المحقق.

تحدّث المحقق ليث إلى الحاج أحمد بكل لطف: «هدئ من روعك يا حاج، فنحن نريد منك أن تطلعنا على بعض المعلومات البسيطة، حاول أن تستجمع قواك، فكل نقطة ستدلي بها ستكون هامة بالنسبة لي».

هز الحاج أحمد رأسه بالإيجاب، وتحدّث وهو يحاول أن يكون أكثر اتزانًا: «اعذرني يا سيدي المحقق، فهذه المرة الأولى التي أمتثلُ فيها أمام أحد المحققين، فأنا إنسان مسالم، ولا أحب أن أؤذي أحداً».

تبسَّم المحقق ليث: «لا بأس يا حاج أحمد لا بأس، أتمنى ألا تتكرر تجربتك هذه مرة أخرى – كحّ المحقق ليث وهي حركته المميزة لبدء التحقيق- هل تعرف السيدة سعاد؟»

رجع الارتباك إلى الحاج أحمد بصورة لا شعورية، وومضت في مخيلته صورة لجثة مضرجة بالدماء، وتحدّث بتلعثم: «سعاد!! نعم يا سيدي المحقق نعم، لقد أخبرني الشرطي بأنّها

ماتت، يا لها من مسكينة تلك الشابة الجميلة!».

«لقد سمعنا من مصادرنا بأنّك كنت تراقبها من أجل زوجها». نطقَ المحقق ليث بتلك الكلمات، وبقي صامتًا في محاولة للتعرف على ردة فعل محدّثه.

رعشت يده اليمنى بصورة لا إرادية، وشعر بجفاف مفاجئ في فمه، تحدّث وقد بحَّ صوته بسبب ذلك الجفاف: «أجل يا سيدي المحقق، لقد كنتُ أراقبها فيما مضى من أجل زوجها كما تفضّلت، ولكنَّ ذلك الفنان غريب الأطوار كشف أمري، وأقالني من العمل عنده».

«هل لاحظتَ أي علاقة غريبة بينهما؟»

تحدّث الحاج أحمد وهو يتذكر ذلك الفنان الذي أقاله من عمله، وشعرَ بدماء الانتقام تسري في عروقه، وقد بانت نبرة الغضب في كلماته: «لقد كان يتودد إليها بعض الأحيان،- وتردّد بعض الشيء- هل سيطّلع زوجها على هذا التحقيق؟»

تعجّب المحقق ليث من هذا السؤال: «لا، ولكن لماذا تسأل؟»

أسندَ الحاج أحمد ظهره على الكرسي، وتحدّث بحزن: «لأنّي لم أخبره بالحقيقة الكاملة».

«أي حقيقة؟؟»

«لقد كنتُ أخبره بأنَّ سميراً يتودد إلى سعاد وهي تصد عنه، ولكن في الواقع كانت العلاقة بينهما في غاية الانسجام».

فتحَ المحقق ليث عينيه على اتساعهما: «ولماذا كنتَ تكذب؟»

«لقد كنتُ أخاف على تلك السيدة من أن يؤذيها زوجها، ولذلك كنت أحاول أن أخفي بعض الأمور».

«يا لها من معلومة هامة هذه التي أدليتَ بها للتو! فهذا يؤكد علاقة سمير بسعاد بصورة قوية، -تقدّم بجسده ناحية محدثه- وماذا عن علاقتكَ أنت بالسيد سمير؟ أقصد هل تتردد عليه؟ أم انتهى العمل نهائيًا بينكما؟»

تردّد الحاج أحمد بعض الشيء، ومسحَ بيده على لحيته الرمادية، وهي حركة اعتاد عليها عندما يكون في غاية السرحان والتردد..

قاطعَ المحقق ليث سرَحان الحاج أحمد: «هل ما زلتَ معي يا حاج؟»

انتبهَ الحاج أحمد من سرحانه وتحدّث وهو يستجمع قواه: «أنا في الحقيقة يا سيدي المحقق ما زلتُ أراقب سعاد بعض الليالي». وسكت لبرهة.

فتح المحقق ليث عينيه على اتساعهما وهو ينظر إلى محدثه الذي شعر بأنّه غريب الأطوار بعض الشيء، فمن خلال نظرهِ إلى لغة جسد محدّثه شعرَ بأنَّ هناك شيئاً غير طبيعي، تحدّث بحماس: «وهل راقبتَها الليلة الماضية؟»

ارتعشت ركبتا الحاج أحمد وهو يتذكر تلك الجثة المضرجة بالدماء، وتحدّث بارتباك: «قبل أن أخبرك بأي شيء يا سيدي

المحقق، لابد أن أطلعك على معلومة هامة عني، - تنهّد بصورة مطولة – أنا أعاني من مرض الوهم، فبعض الأحيان تختلط عليّ الأمور بين الحقيقة والخيال، فما سأقوله الآن لا أعلم مدى مصداقيته إن كان وهمًا أم خيالاً».

أسندَ المحقق ليث ظهره على الكرسي، وقد شعر بأنّ حدسه كان في مكانه، فالشخص الذي أمامه غريب الأطوار فعلًا، وربما كان كل ما ذكره سابقًا محض خيال، تحدّث بهدوء وقد قلّ حماسه بعض الشيء: «أكملْ يا حاج أحمد».

«لقد تلقيتُ اتصالًا الليلة الماضية ولا أعرف من كان المتصل، وقد أخبرني بأن أتوجه إلى منزل سمير لمراقبة سعاد بعد ساعة من اتصاله، - تنهد بعمق وهو ينظر إلى السقف ويحاول أن يتذكر- أظن بأنه اتصل عند الساعة السابعة أو السابعة والنصف مساءً».

نظر المحقق ليث إلى الحاج الذي أمامه، ولم يعلم ما إذا كان يقول الحقيقة أم الخيال: «ألا تحتفظ بسجل المتصلين بك؟»

ابتسم الحاج أحمد: «لقد اتصلَ بهاتف منزلي الأرضي، وللأسف لا توجد به خدمة كاشف الأرقام».

«أكمل يا حاج أحمد».

«بعد تلقيَّ للاتصال، ذهبت إلى منزل السيد سمير بالسيارة وقد أوقفت السيارة على مسافة من منزله، وترجلتُ منها وذهبت سيرًا على الأقدام، وعندما دخلت -وللعلم فإن الباب الخارجي لمنزل سمير يكون مفتوحًا دائمًا - شاهدت سيارة

السيدة سعاد، أظنّ كانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف أو التاسعة، لستُ متأكد تمامًا، وعندما اختلست النظر إلى الداخل من خلال النافذة، رأيتُ –اهتزت شفتاه بصورة غير طبيعية، وحاول أن يكون أكثر تماسكًا- رأيت جثة مضرجة بدمائها ملقية على الأرض، وأحد الأشخاص يقف أمامها».

نهض المحقق ليث من مكانه بصورة سريعة وهو ينظر إلى ذلك الحاج بصورة مريبة: «هل أنت متأكد من أنّك رأيت جثة؟ وهل عرفتَ جثة من كانت؟ هل هي جثة سعاد؟ ومن الشخص الذي يقف امام الجثة؟».

فوجئَ الحاج أحمد من نهوض المحقق ليث ومن هذه الأسئلة السريعة، تحدّث بارتباك: «لقد أخبرتك يا سيدي المحقق بأنّني قد أخلط بين الحقيقة والخيال، ولكن هذا الذي رأيته، ولا أعرف إذا كانت الجثة تخص سعاد أو غيرها، أو هل هي جثة رجل؟، وكذلك ذلك الشخص لم يكن واضح الملامح، وقد خفت من هول المنظر، وفررت هاربًا، فقد شعرت بأنّي قد أصبت بحالة من الوهم، وخشيت على نفسي».

شعر المحقق ليث بالإحباط بعض الشيء، ولكنّه جعل من الموقف الذي رآه الحاج أحمد محلاً للشك، فقد يكون رأى جثة بالفعل. جلس مجددًا وبدأ يسجّل بعض الملاحظات، وتحدّث بكل هدوء: «هل هذا الذي رأيته فقط؟»

«أجل يا سيدي المحقق، لقد كان الأمر مرعبًا بالفعل، وقد خرجتُ بصورة سريعة إلى درجة أنّ السيد ناصر كاد أن يصطدم بي بسيارته..

قاطعه المحقق ليث بصورة سريعة: «المحقق ناصر كاد أن يصطدم بك!!؟ متى وأين؟»

ارتعشت لحية الحاج أحمد بصورة غريبة من تلك النبرة: «عند الباب الخارجي، ولا أعلم ما إذا كان يهم بالخروج من المنزل أو يدخل إليه. وأما عن الوقت، فقد أخبرتك به مسبقًا بين الثامنة والنصف أو التاسعة، فأنا لا أضع ساعة حول معصمي، ولم أكن أحمل هاتفي المحمول حينها».

هزّ المحقق ليث رأسه وهو يحاول تركيب كل تلك المعلومات الغريبة، فذلك الوقت الذي ذكره الحاج أحمد هو تقريبًا يقع في الوقت المقدر للوفاة، وبحسب أقوال سمير فإنّ سعاد خرجت عند الثامنة والربع، وناصر زاره عند العاشرة والنصف، فكيف لكل هذه الأمور أن تحدث في الوقت الذي ذكره الحاج أحمد؟، نظر إلى الحاج أحمد الذي علت وجهه علامات الرعب والخوف، وتحدّث بهدوء: «لا بأس يا حاج أحمد، هذه المعلومات هامة، وسنأخذها بعين الاعتبار، -حرّك شاربه وقد تذكّر شيئاً – هل أنتَ من سرق معدات سمير الزراعية؟»

أسند الحاج أحمد ظهره على الكرسي، وتنهّد بصورة مطولة: «لا أعلم يا سيدي المحقق، ربما اختلط الأمر عليّ، وأخذتُها عن طريق الخطأ، ولكن أذكر بأنّ سميراً هو من أعطاني تلك المعدات، وهل هذا الأمر له علاقة بالقضية؟»

ابتسم المحقق ليث: «لا يا حاج أحمد، لقد انتهى التحقيق معك، أتمنى أن ترافق الشرطي ليأخذ بصماتك وعيّنة من

حمضك النووي، وأرجو أن تزودنا برقم زوجتك للتأكد من بعض الأمور». ضغط على أحد الأزرار ودلفَ الشرطي على الفور، وأخذ الحاج أحمد لإجراء اللازم.

نهض المحقق ليث يتمشى في مكتب التحقيق، وشعر بأنّ هناك أمراً غريباً في القضية التي يحقق فيها، فمسرح الجريمة غريب بعض الشيء، وقد شعر بأنّه معدٌّ لأكثر من كونه مسرحاً طبيعياً، فقد شعر بأنَّ هناك من خطط لتلك الجريمة بصورة احترافية، فمن غير الطبيعي أن يكون قاطع طريق هو من تسبّب في تلك الجريمة. وأخذ يتساءل: إذا لم يكن قاطع طريق فمن له المصلحة في قتل السيدة سعاد؟ هل هو زوجها الذي ربما عرف بأنّها تخونه عن طريق ذلك الحاج الذي لا يفرق بين الخيال والواقع؟ أم هو سمير الذي شعر بنار الانتقام من رفض السيدة سعاد له من قبل؟..

توقف قليلًا وهو يهز رأسهُ يمينًا وشمالًا، و تساءل: إذا كان سمير، فلماذا اختار هذا الوقت؟ لماذا لم يقتلها من أول زيارة؟ هل كان يخطط للجريمة؟ ولكن كيف نفّذها؟. كل تلك الأسئلة كانت تجول في خاطره.

تمشّى مجددًا، وفكّر في كلام الحاج أحمد، فقد نطق بكلمات غريبة وبخيال مرعب، فهل كانت هناك بالفعل جثة بداخل منزل سمير؟ أم هو محض خيال ووهم توهّمه ذلك الحاج -تنهّد بصورة مطولة- وشعر بأنّ هناك احتمالاً بأنّ جثة سعاد كانت بالفعل في منزل سمير وقد تمّ نقلها، ولكن لم يعرف الطريقة التي نقلت عن طريقها الجثة، وتصميم مسرح آخر لها

في الغابة، ولم يعرف متى، ولكنّه أخذ هذا الاحتمال على محمل الشك، وقد يسبر أغوار ما حدث إذا ما فتّش منزل سمير، فلربما يعثر على شيء يثبت به ما قاله الحاج أحمد.

اتّجه ناحية الهاتف، وأدار الأرقام وتحدّث بكل هدوء: «أريد مذكرة تفتيش لمنزل السيد سمير بأسرع وقت ممكن». أغلقَ الخط وسار مجددًا داخل المكتب..

وبعد خمس دقائق أصدر هاتفه الخلوي نغمته الكلاسيكية، توقفَ عن السير بصورة لا شعورية وهو ينظر إلى الرقم الذي كان يترقبه منذ الصباح الباكر، وعلى الفور أجاب بكل حماس، وما أنْ سمع محدثه حتى زال ذاك الحماس، وتحدّث بنبرة تكسوها العصبية: «كلب!! هل قلتَ بأنَّ ما توصلتم إليه من خلال تحليل الإصبعين المبتورتين هو أثر من لحم كلب؟ -تنهّد بعمق – لقد توقعت بأنّ ذلك المجرم لن يترك أثراً لجريمته، لا بأس يا صديقي شكرًا لك».

عاد للسير مجددًا حول المكتب، وهو ما يزال يفكر في تلك الجريمة الغامضة، وشعر بأنّ هناك شيئاً غريباً، وثمة إحساسٌ غريب بدأ يراوده، فكل ذلك التخطيط للجريمة يدعو للشك بأنّ من خطّط لها شخص متمرس في الجرائم، فلا يمكن لمجرم مبتدئ أن يفعل كل تلك الأمور، فقد كانت الجريمة متقنة إلى أبعد الحدود، وكأنّما قد تم التخطيط لها منذ زمن.

قاطع حبل أفكاره صوت طرق الباب، صرخ بصوته الجوهري: «ادخل».

دخل ناصر بكل هدوء وهو يبتسم، وتحدّث بمرح: «يبدو بأنّك تمارس رياضة المشي يا ليث».

ابتسم المحقق ليث بصعوبة: «أجل يا ناصر، فكما تعلم نحن نجلس على هذا الكرسي منذ الصباح حتى الظهيرة، ولابد من أن نتحرك بين الفينة والأخرى، تفضل.. اجلس».

جلس ناصر على الكرسي المقابل لمكتب المحقق ليث، وجلسَ المحقق ليث على مكتبه بكل هدوء، وتحدّث وهو يبتسم: «يبدو أنّكَ تريد أن تسأل عما حدث في قضية مقتل السيدة سعاد».

اختلطت ابتسامة ناصر ببعض الرهبة، وتحدّث وهو يحاول تمثيل دور المحقق المساعد في القضية: «إذا أمكن يا ليث».

«لا بأس، فأنت زميلي يا ناصر، -تنهّد بعمق- لقد حضر زوج الضحية للتحقيق بعد أن شاهد الجثة، وقد شعرت بأنّه لم يكن مكترثاً بصورة كبيرة بسبب مقتل زوجته، فلم أشعر بأي مشاعر حزن بدت على وجهه، وقد أخبرني بشكّه تجاه سمير وعلاقته بزوجته، وقد شعرتُ بغيرته الواضحة، والتي على ما يبدو بسبب علاقة سمير السابقة بزوجته». قال كلماته الأخيرة وهو ينظر إلى ردة فعل ناصر.

تحدّث ناصر بهدوء: «علاقة!! هل هناك علاقة سابقة بين سمير وسعاد؟»

«أجل يا ناصر، ألم يخبرك سمير عنها؟»

حاول ناصر الثبات لكيلا تفضحه رعشة يده: «كلا يا سيدي

المحقق، ولكن حتى لو كانت هناك علاقة بينهما، فما علاقتها بالقضية؟ فقد تكون علاقة عابرة وانتهت».

«الموضوع أكبر من علاقة عابرة يا ناصر، فعلى ما يبدو بأنّ سميراً كان ينوي الزواج بسعاد، ولكنّها رفضته بسبب فقره آنذاك».

«هكذا إذن، ولكن كما تعلم يا ليث، فإنّ سميراً كان يرسم تلك السيدة على فترات، فلماذا قتلها الليلة الماضية إذا كنت تشك بأنّه هو الفاعل؟»

«كما تعلم يا ناصر فنحن نجعل كل من لهم علاقة بالضحية في محل الشك، وسمير كانت له علاقة بالضحية، ولهذا لابد أن نشك به وإن كان صديقك».

ابتسم ناصر: «أنا لستُ هنا للدفاع عنه، فإن كان هو القاتل فليَنلْ جزاءه، ولكن كما تعلم يا ليث فنحن نتناقش في القضية وفي حيثياتها».

«بلا أدنى شك، ولكن كنت أريد أن تتفهم موقفي في حال شككتُ في صديقك -تنهّد بعمق- وبالنسبة لسؤالك وهو: لماذا نفّذ جريمته -في حال كان هو المجرم- الليلة الماضية، فقد يكون قد خطط طوال تلك الفترة في الطريقة المناسبة لقتلها، فقد كانت الجريمة متقنة، فالمجرم لم يغفل عن أي شيء، وهذا ما يدعوني للشك بأنّ الجريمة حدثت بعد تخطيط مسبق».

تحدّث ناصر بهدوء: «ربما، ولكنْ سمير ليس باستطاعته

تنفيذ مثل تلك الجريمة البشعة، فهو مثال على المشاعر والأحاسيس برسوماته الخلابة، ولا يمكن أن أتخيل أن يقتل سمير نملة، فما بالك بإنسان؟».

«هل أعيد عليك ما تعلمناه في الجامعة وفي حياتنا المهنية؟ فقد يكون المجرم متخفياً تحت غطاء الحمل الوديع».

«بالطبع يا ليث، لابد وأن يكون الجميع في محل الشبهات، ولكن كما تعلم أنا أعرفه منذ زمن، وأنا على يقين بأنّه لا يمكن أن يفعلها».

«أتفهّم مشاعرك يا ناصر، ولكنّنا كما تعلم ما زلنا في بداية التحقيق، وهذه كلها فرضيات –وتوقفَ لبرهة وكأنّه تذكّر شيئاً- لقد عرفنا صاحب السيارة التي أخبرتنا بأنّك رأيتها الليلة الماضية».

«حقًا»؟.

«أجل، إنّه زوج سعاد».

فتح ناصر عينيه على اتساعهما، وتحدّث بحماس: «ألا تظن بأنّه هو من ارتكب الجريمة يا ليث؟ فقد كان مسرعًا عندما مرّ بجانبنا».

«لقد اعترفَ بأنّه كان يسلك ذلك الطريق، ولكنّه أنكر وجود سيارة زوجته».

تذكّر ناصر بأنّ السيارة مرت بجانبهما عندما كانا عائدين إلى منزل سمير لأخذ سيارة سعاد، وتحدّث لكي يشتت مجرى

التحقيق: «إنّه يكذب يا ليث، لقد كانت السيارة موجودة حينها».

«لقد شككتُ بذلك، ولكن كما تعلم نحنُ ليس لدينا أي دليل إن كان هو الفاعل، وكنتُ في انتظار عيّنة الإصبعين المبتورتين التي كنتُ أحسبها ستساعد في التعرف على المجرم، ولكن اتّضح بأنّ الأثر المتروك فيهما يعود إلى كلب».

أمسك ناصر ابتسامته، وتحدّث وهو يقطب جبينه: «كلب!!»

«أجل يا ناصر، ولهذا السبب أخبرتكَ بأنّ الجريمة كانت متقنة بصورة كبيرة، ولذا قد يكون مرتكبها إمّا متمرساً في مثل ذلك النوع من الجرائم أو أنّه قد خطط لها بصورة مثالية، ولهذا السبب ما زلتُ أشعر بالارتياب بأن يكون سمير أو زوج سعاد هو من ارتكبها، حتى لو فرضنا بأنّ أحدهما خطط للجريمة منذ زمن، فلابد وأن يرتكب خطأ، ولكنّ الجريمة كانت متقنة».

شعر ناصر بأنّ المحقق ليثاً سيشك به بسبب مسرحه الذي صنعه بكل إتقان، حاول أن يشتت مجرى التحقيق بكل ما استطاع من قوة، وأن يزيد من المشتبه بهم فقط من أجل إبعاد الشبهات عنه، تحدّث وهو يتصنع الهدوء: «ربما حالفه الحظ، فكما قلتَ أنت: إذا كان هناك تخطيط مسبق للجريمة، فأي شخص بإمكانه فعلها –وتحدّث وهو يتصنع الحماس- وماذا عن البستاني؟»

ابتسمَ المحقق ليث: «لقد كان هنا منذ قليل، ولكن -للأسف-

لا أستطيع أن آخذ كلامه على محمل الجد، فهو يعاني من التوهم، ولكنّه أخبرني بشيء في غاية الغرابة».

تحمّس ناصر بعد سماع تلك الكلمات، وتحدّث بحماس: «ما هو؟»

«لقد كان يراقب سعاد حتى بعد أن طرده سمير من العمل، وقد أخبرني بأنّه عندما ذهب للمراقبة، رأى -من خلال النافذة- جثة مضرجة بالدماء داخل منزل سمير، وكان هناك أحد الأشخاص يقف بالقرب منها». قال المحقق ليث تلك الكلمات وهو يراقب لغة جسد محدّثه الذي بدأ يشك بأنّه يعرف شيئاً.

حاولَ ناصر أن يسيطر على مشاعر الدهشة، فهو كمحقق يعلم ما ينظر إليه المحقق في لغة الجسد. ضحك ببساطة، وتحدّث والابتسامة تعلو محيّاه: «جثة مضرجة بدمائها وشخص يقف بالقرب منها!! وهل صدقته؟»

«يا ناصر لقد أخبرتك بأنّنا ما زلنا في بداية التحقيق، ولابدّ من أخذ تلك الفرضيات على محمل الجد، وإن كانت وهمًا –وتغيرت نبرته إلى الشك- وربما تكون حقيقة».

ارتعشت عضلة خد ناصر اليمنى بصورة لاإرادية، وتحدّث بهدوء: «معك حق يا ليث، لابدّ من أن تجعل جميع الفرضيات في محل الشك، ولكن كيف رأى جثة، وجثة سعاد كانت في العراء؟».

ابتسم المحقق ليث: «أنا لم أقل جثة سعاد».

حاول ناصر أن يسيطر على أعصابه، وتحدّث وهو يتصنع

الابتسامة: «لقد فهمتُ بأنّه رأى جثة سعاد، وإذا لم تكن جثة سعاد فجثة من إذن؟»

«لا أعلم، فقد رأى جثة، ولا يعلم إن كانت تخص سعاد أم شخصاً آخر –وتحدّث وهو ينظر إلى عيني ناصر بصورة مباشرة- وقد أخبرني بأنّك كدت أن تصطدم به عند الباب الخارجي لمنزل سمير في تلك الليلة».

«أنا!! لا، بالتأكيد هو يتخيل».

«لقد شككت في كلامه، فقد ذكر أنّ تلك الأحداث حدثت إمّا في الثامنة والنصف أو في التاسعة مساءً، وأنتَ كما أخبرتني البارحة أنكَ كنت مع سمير عند الساعة العاشرة والنصف تقريبًا».

حرّك ناصر كلتا يديه بصورة غريبة: «أجل يا ليث، ولذلك قلتُ لك بأنّه يتخيل».

«ولكنّي لم أخبرك بالوقت، قبل أن تقول لي بأنّه يتخيل».

بلعَ ناصر ريقه بصعوبة، فقد شعر بأنّ المحقق ليثاً بدأ يشك به، وتحدّث بكل هدوء :«ذلك لأنّي لم ألتق به، فكيف أصطدم بشخص لم ألتقِ به؟».

«لا بأس، لقد كان التحقيق مع ذلك الحاج غريباً بعض الشيء، ولا أستطيع أن أثق بكل ما قاله بصورة مطلقة، ولكن لابدّ وأن آخذ بعين الاعتبار - ولو نسبة بسيطة - بأنّ ما قاله ليس وهمًا».

هز ناصر رأسه بالإيجاب، ولم ينبس ببنت شفة..

ابتسم ناصر بكل هدوء وهو ينظر إلى المحقق ليث، واستأذنه بالخروج من المكتب. نهضَ المحقق ليث من مكانه وهو يبتسم، وتحدّث قائلاً بكل هدوء: «سررتُ بالحديث معك يا ناصر، أتمنى أن تُطلعني على أي جديد، في حال تذكرتَ أي شيء».

هز ناصر رأسه بالإيجاب، وهو يهمّ بالخروج من مكتب المحقق ليث..

جلس المحقق ليث مجددًا على كرسيه، وقد ساورتهُ بعض الشكوك بعد هذه المحادثة، وقد شعر بأنّ ناصراً يخفي أمرًا ما، ولذلك لم يخبره بموضوع مذكرة تفتيش منزل سمير.

سجّل بعض الملاحظات على دفتره الخاص وهو يبتسم، وبينما هو يسجل ملاحظاته تذكّر البستاني، وعلى الفور طلب من الشرطي المناوب الاتصال بزوجة البستاني وإيصاله بالخط، بعد خمس دقائق كان المحقق ليث يتحدث معها.

«كيف حالكِ يا سيدتي؟»

ردّ عليه صوت غلبت عليه البحة: «بخير».

«معكِ المحقق ليث، أنا أحقق في قضية قتل السيدة سعاد، وزوجكِ كان من ضمن الأشخاص الذين لهم علاقة بالضحية، وقد كان ماثلًا أمام التحقيق منذ قليل، وأريد أن أطرح عليكِ بعض الأسئلة إذا أمكن».

«قضية قتل!! وما دخلي في الموضوع؟! إذا كنتُ على علم بالإجابة فسأخبرك، تفضّل، اسأل يا سيدي المحقق».

«متى آخر مرة رأيتِ فيها زوجك الليلة الماضية؟»

«الليلة الماضية رأيته قبل أن يخرج من المنزل، فقد تلقى اتصال في حدود الساعة السابعة والنصف، وبعدها خرج على ما أعتقد إما الساعة الثامنة أو الثامنة والربع مساءً».

تيقن المحقق ليث بأن هناك من اتصل بالبستاني، تحدث بهدوء:

«وهل تعلمينَ من المتصل؟»

«لا».

«ومتى رجع؟»

«لا أعلم يا سيدي المحقق، فقد خلدتُ إلى النوم عند الساعة الثامنة والنصف -تحدّثت وكأنّها انتبهت لأمر ما- أذكر بأنّي سمعت صوت باب الغرفة يفتح، وكنتُ أسمع صوته وهو يقول كلمات غريبة، وقد كانت الساعة التاسعة تقريبًا، ولكن لا أعلم ما إذا كان قد رجع إلى المنزل في ذات الوقت».

سجَّل المحقق ليث تلك الملاحظة، وتحدّث بهدوء: «منذ متى وزوجك يعاني من التوهم؟»

تنهدت زوجة البستاني بعمق: «منذ سنة تقريبًا، فقد بدأ يتخيل أشياء غريبة، وباتَ شارد الذهن بصورة متكررة».

«هل أخبركِ بشيء هذا الصباح؟»

«لا، ولكنّي لاحظته سارحاً في مكان آخر وهو يسقي الأزهار».

«شكرًا لك يا سيدتي على هذه المعلومات». أقفلَ المحقق ليث الخط، وبدأ بتسجيل أهم الملاحظات..

***

بعد ساعة..

أصدر هاتف المحقق ليث نغمته الكلاسيكية، نظرَ إلى رقم الاتصال وابتسم على الفور، وارتفع شاربه الضخم بصورة واضحة، ردّ عليه وما زالت الابتسامة تعلو محياه، تحدّث بكل هدوء: «تمت الموافقة على مذكرة التفتيش، هذا جيد، سنذهب غدًا صباحًا بكل تأكيد».

أغلقَ هاتفه ورفع سماعة هاتف المكتب وأدار الأرقام، وما أن ردّ عليه الطرف الآخر حتى تحدث بصوته الجهوري: «أرجو أن تجهزوا فريق البحث الجنائي، لدينا زيارة يوم الغد عند الصباح الباكر، أتمنى أن يكون كل شيء جاهزاً في الوقت المحدد، يمكنكم أخذ العنوان من الشرطي المناوب».

أغلقَ المحقق ليث خط الهاتف وقد علت وجهه ابتسامة غامضة، وكان شبه متأكد بأنّه سيحصل على دليل داخل منزل ذلك الفنان غريب الأطوار، فلابدّ من استكمال حلّ الأحجية لتلك الجريمة الغامضة..

12

الخوف

منزل سمير/ الساعة العاشرة مساءً. . .

ساد الصمت المكان بصورة غير طبيعية، فمنذ قدوم ناصر والصمت كان سيد الموقف، على غير عادة سمير الذي كان ثرثارًا بعض الشيء بخاصة مع وجود صديقه ناصر، ولكن في ذلك اليوم كان سمير هادئًا بصورة غير طبيعية. كان يشرب عصيره وهو في غاية السكون.

نظر ناصر إلى صديقه وقد شعر بأنّه على غير عادته، فقد اكتفى فقط بالترحيب به منذ أن دخل، وجلس على الأريكة وهو في غاية السكون. حاولَ أن يفتتح جلسة لقائهم بشيء قد يساعد سميراً على التحدث. تحدّث بأسلوبه المرح وفي محاولة لكسر حاجز الصمت: «أين الأصيص غريب الشكل الذي كان هنا؟» كان ناصر على دراية بأنّ التحدّث عن أثاث سمير الغريب يستفزه.

أجاب بكل برود: «لقد غيرتُ مكانه».

شعر ناصر بأنّه لم يستفزّ سميراً بذلك السؤال، وعلى الفور تحدّث بشيء من الحماس: «لقد استدعوا زوج سعاد للتحقيق».

وضع سمير كأس العصير على الطاولة الجانبية، وتحدّث وهو يحاول أن يحافظ على هدوئه: «وهل توصلوا إلى شيء هام؟»

«لقد أخبرني المحقق ليث بأنّ زوج سعاد قد مرّ بجانب مسرح الجريمة، وحاولتُ أن أثير شبهاته بأنّ هناك علاقة له بما حدث».

«ربما، يكون له علاقة».

تعجّب ناصر من كلمات سمير: «أي علاقة يا سمير؟، ونحن من وضعنا الجثة في ذلك المكان، وللعلم فقد مرّ بمسرح الجريمة قبل أن نضع سيارة سعاد هناك».

«أقصد ربما هو من قتل سعاد، فكما أخبرتكَ بأنّي لم أقتلها، وكانت هناك فترة زمنية فاصلة تركتُ فيها سعاد، وقد رجعتُ لأجدها جثة هامدة».

ابتسمَ ناصر الذي ما يزال يشك بأنّ سميراً هو من ارتكب الجريمة، وتحدّث بلطف: «ربما، فقد جعلت المحقق يشكّ بأنّ هناك أمراً غريباً بسبب مرور زوج سعاد بجانب مسرح الجريمة، وقد بيّنتُ للمحقق بأنّ زوج سعاد يكذب عندما أنكرَ رؤيته لسيارة زوجته».

«وماذا عن البستاني؟»

ارتعشت يد ناصر بعض الشيء، وتحدّث بهدوء وكأنّه يريد أن يخبره بسر: «لقد حققوا معه هو الآخر، وقد تبيّن بأنّه يراقب سعاد حتى بعد أن طردته...

قاطعهُ سمير وقد نهض من مكانه: «هذا يعني بأنّه رأى ما حدث البارحة».

«ما بالك يا سمير نهضتَ بهذه الصورة الغريبة؟ وما الذي تخشى أن يراه؟»

جلس سمير وركبتاه ما زالتا ترتعشان: «الجثة يا ناصر الجثة».

«أجل هذا ما رآه».

نظر سمير إلى ناصر نظرة المغشي عليه من الخوف، وتحدّث بتلعثم: «سيتم سجني لا محالة».

ضحك ناصر بصورة هستيرية: «هوّن عليك يا سمير، أي سجن ذاك الذي تتحدث عنه؟ لقد اتّضح بأنّ الحاج الذي كان يعمل عندك خرف».

«خرف!!»

«أجل، إنّه يعاني من مرض الوهم، وهو لا يعلم ما إذا كان الذي رآه حقيقة أم خيالاً، ولهذا لم يأخذ المحقق ليث ما قاله البستاني على محمل الجد، ولكنّه شكّ في الأمر».

«لم أفهم يا ناصر: كيف شكّ في الأمر؟»

«عندما نحقق يا سمير مع أي شخص، لابدّ وأن نحمل كلامه محمل الجد، صحيح أنّ ذلك الحاج يتوهم، ولكن لابدّ وأن يكون لدينا نسبة من الشك بأنّ ما يقوله كان حقيقة وليس خيالاً».

فتح سمير عينيه على اتساعهما، وتحدّث بصعوبة: «أظنّ بأنّهم سيحققون معي، وبالتأكيد سيفتشون المنزل قريبًا».

«لم يخبرني المحقق ليث عن أي مذكرة تفتيش، ولكن كن مستعدًا لذلك».

هزّ سمير رأسه بصعوبة وتحدّث بهدوء: «أنا مستعد؛ فقد أحرقتُ كل ما يدل على إمساكي بالجثة من ملابس، وقد رميتُ بالحلي في البحر، وتخلصتُ من تلك الأريكة التي جعلتُ جثة سعاد تستلقي عليها».

«تخلصتَ منها!! لقد خِلتُكَ غيّرت مكانها مثل ذلك الأصيص، ولهذا السبب لم أسألك عنها في بادئ الأمر».

«لا، لقد تخلصت منها يا ناصر، وأمّا عن ذلك الأصيص فقد اكتفيت بتغيير مكانه لأنّه لا يناسب الأريكة الجديدة؟ ولكن لماذا أنت متعجب؟»

«ربما يساورهم الشك عندما يعلمون بأنّك استبدلت أثاثك يا سمير، فكما تعلم قد يأخذون كلام البستاني على محمل الجد، وتساورهم الشكوك في هذا التبديل المفاجئ للأثاث».

زادت رعشة يدي سمير، وتحدّث بتلعثم: «لم أفكر في ذلك الأمر، فأنا لم أعلم بأنّ هناك من رأى شيئاً يا ناصر».

«أين الأريكة؟»

«لقد بعتُها لمحل للأثاث المستعمل».

«أتمنى ألا يسألوك عن تلك الأريكة، ولكن في حال سألوك أخبرهم بأنّك تخلصت منها برميك إياها في القمامة، ولا تخبرهم عن محل الأثاث المستعمل، لأنّهم إذا عثروا عليها فقد

يكتشفون قطرات الدماء، وإن كنتَ قد غسلتها بالمحاليل».

شعر سمير بالدوار وهو يسمع تلك الكلمات، وتحدّث وكأنّه يخاطب معلّمه: «سوف أخبرهم بأنّي قد تخلصت منها، أتمنى ألا يكون هذا من ضمن أسئلتهم».

«توقّع كل شيء يا سمير، فنحن كمحققين نبحث عن أسباب كل شيء، بخاصة إذا كان الأمر غريباً نوعًا ما، ما يهمّ الان أن تكون أقوالك ثابتة، فإذا لاحظوا تضارباً في الأقوال فقد تزداد شكوكهم».

«لم أفهم، هلا وضّحتَ لي الأمر».

«أقصد تذكّر كل ما ذكرته في التحقيق المبدئي الذي كان في الغابة، ولا تغير في أي شيء سواء أكان الوقت أو المكان. عليك أن تثبت على أقوالك، وحتى هذه الأريكة، إذا ما سألوا عنها فقلْ لهم بأنّك تخلصت منها، ولا ترجع في قولك وتخبرهم بأنّك بعتها لمحل الأثاث المستعمل».

«أشعر بأنّي سأدخل امتحاناً أكثر من كونهِ تحقيقاً، أتمنى ألا يحققوا معي».

ابتسمَ ناصر، وتحدّث وكأنّه أحد الخبراء في مجال التحقيق: «الامتحان أسهل يا سمير، ففي النهاية يتم تصحيح ورقة وانتهى، وكل ما كتبته سيكون هو الهام، ولكن في التحقيق هناك العديد من الجوانب التقييمية، أقوالك، لغة جسدك، مطابقة أقوالك للغة الجسد، ثباتك على كلمة».

«أنتَ تخيفني أكثر يا ناصر بهذه المقارنة».

ابتسم ناصر وتحدّث وكأنّه أحد الحكماء: «ما يهمّ ألا تكثر الحديث، بمعنى آخر أجب إجابات مختصرة ولا تسهب، فأنتَ عندما تسهب تجعل المحقق يسألك بصورة أكثر، ولكن إذا كانت إجاباتك محددة، فلن تعطيه فرصة لأن يسألك في أمور أكثر».

هزّ سمير رأسه بالإيجاب ولم ينبس ببنت شفة، وظلّ صامتًا كما كان في أول اللقاء...

13

الذنب

منزل سعاد/ الساعة الثانية بعد منتصف الليل..

نظر هشام إلى زوجته وقد ارتعدت أوصاله، فركَ عينيه بصورة قوية وتحدث إليها وقد بانَ شبح الموت على محياه: «ألم تموتي؟»

بقيَ شبح سعاد ينظر إليه بصورة غريبة، وقد بانت على ملامحه الحزن والأسى، ولم ينبس ببنت شفة..

«ماذا تريدين مني؟»

بقيَ الشبح صامتًا دون أن ينطق بأي كلمة..

«لقد كنتُ أحبكِ، وأغار عليكِ من نسمة الهواء، ولكنّي..

نظر الشبح إليه بصورة غريبة ومرعبة..

«أنا لم أقتلكِ يا سعاد، أنا لم أقتلكِ يا سعاد...

استيقظ هشام وهو ينطق بتلك الكلمات، نظرَ إلى جانبه ولم يرَ أحداً. أخذ كأس الماء الذي يضعه بجانب سريره وشربَ منه آخر قطراته، تحدّث إلى نفسه وكأنّه يواسيها: «لقد كان حلمًا مزعجاً، ما هذه المرأة التي تلاحقني حتى وهي ميتة؟، ولكنّي كنت أحبّها وأغار عليها، وقد ماتت ولم تذهب إلى أحد غيري». وضحك بصورة غريبة وهستيرية، وبعدها شعر بدموعه تنهمر على خدّيه.

14

التفتيش

في اليوم التالي/ منزل سمير/ الساعة الثامنة صباحًا. . .

استيقظ سمير على نغمة جرس منزله، نهض من سريره وهو يفكر بصاحب هذه الزيارة، فقد كان متأكداً بأنّها ليست الخادمة التي كانت تأتيه يومين في الأسبوع، فموعدها من المفترض أن يكون في الغد، – فقد كان سمير يسكن لوحده ولا يحب وجود الخادمة طوال الوقت في المنزل وكأنّها تراقبه، ولذلك كان يطلبها للعمل بشكل مؤقت، وعندما تأتيه كان يجعلها تنظف وتلمّع كل أثاثه، وإن كان نظيفًا، ولذا فقد كان الخدم يتشاءمون عندما يأتون للعمل في منزله- نزلَ درجه المصنوع من الرخام الإسباني وهو يفكر في هذا الزائر الصباحي، وما أن وصل إلى الباب الرئيسي حتى بدأت أوصاله ترتعد، فقد شعر بوجود شيء غريب. فتحَ الباب وإذا بالمحقق ليث يستقبله بشاربه الضخم! فزعَ بصورة غير طبيعية، وتحدّث بصورة مرتبكة: «مرحبًا بك يا حضرة المحقق، ما هذه الزيارة المفاجئة؟».

ابتسم المحقق ليث من ردة فعل سمير، وتحدّث بصورة رسمية: «لدينا مذكرة تفتيش للمنزل، أرجو أن تتعاون معنا يا سيد سمير». قال كلماته الأخيرة وهو يُريه مذكرة التفتيش.

نظر سمير إلى مذكرة التفتيش ولم يقرأها حتى من هول الصدمة، وتحدّث وهو يحاول أن يتصنع الهدوء: «تفضل يا

سيدي المحقق، المنزل تحت تصرفكم».

«أرجو أن تستدعي الخدم، أو أي شخص يسكن معك».

ابتسم سمير بصعوبة: «لا يوجد أحد في المنزل، فأنا أسكن لوحدي، فعملي كرسام يتطلب مني التركيز، ولهذا السبب فأنا لا أحب وجود من يزعجني ويقطع حبل أفكاري عند الرسم».

هزّ المحقق ليث رأسه بالإيجاب، ونظر إلى الفريق الذي معه، وتحدّث إليهم بصورة رسمية: «أرجو أن تعملوا بكل هدوء، ولا أريد أي أضرار جانبية من قبل الكلاب، فمنزل الفنان مرتب بصورة غريبة، وعلينا أن نحافظ على ذلك الترتيب - نظر إلى سمير، وتحدّث بهدوء أكثر- أريد أن أجلس وأحقق معك في المكان المخصص لرسم السيدة سعاد إذا أمكن».

رعشت يد سمير اليمنى بصورة لا شعورية، وأومى بالإيجاب وهو يشير بيده للذهاب إلى ذلك المكان الذي حاول تنظيفه بصورة متقنة، ولم يبقِ للضحية أي أثر من الدم أو أي أثر للجريمة..

جلس المحقق ليث على الأريكة الجديدة، وقد شعر بأنّها جديدة، ولكنّه لم يتطرق إلى ذلك الموضوع، فقد جعل من تلك الملاحظة ورقته الأخيرة. نظر إلى وجه محدّثه الذي شعر بخوفه الشديد، وتحدّث إليه بعينين نصف مغمضتين: «أريد منك أن تخبرني بما حدث يا سمير، منذ دخول السيدة سعاد وحتى خروجها».

نظر سمير إلى المحقق ليث وهو يحاول جمع شتات نفسه،

فقد شعر بأنّ الارتباك قد سيطر عليه بصورة غير طبيعية، فعلى الرغم من إعداده لهذا الجواب مسبقًا إلا أنّه شعر وكأنّه قد نسيَ كل تلك الإجابات، تحدّث وهو يتصنع الهدوء: «لقد جاءت عند الساعة السابعة وخمسٍ وأربعين دقيقة تقريبًا، وجلست على الأريكة مباشرة للرسم، فأنا أحدد الموعد كنصف ساعة فقط في اليوم، وقد كان ذلك اليوم هو اليوم الأخير لها، حيث أكملتُ رسمها بصورة كاملة تقريبًا».

تحدّث المحقق ليث بنبرة شك: «لا أظنّ بأنّك رسمتها على هذه الأريكة، ولكن ليس هذا هاماً الآن. سوف نتطرق إلى الموضوع فيما بعد». قال كلماته وهو ينظر إلى لغة جسد محدّثه، فقد كان يريد معرفة ردة فعله.

فتح سمير عينيه على اتساعهما وحاول أن يبرِّئ موقفه، ولكنّه لم يستطع النطق بحرف واحد، فقد قاطعه المحقق ليث بسؤاله: «هل هذا كل ما حدث يا سمير؟»

«أجل يا سيدي المحقق، فقد انتهيتُ من رسمها عند الساعة الثامنة والربع تقريبًا، وقد رحلت بسرعة».

«وماذا عن علاقتكَ السابقة بها؟»

شعر سمير بالدماء تجري بسرعة في عروقه من الغضب: «لقد كانت علاقة عابرة».

«كيف تكون عابرة، وأنتَ طلبت منها الزواج وقد رفضت».

تحدّث سمير وبدا في نبرته نوع من الغضب: «لقد قصدتُ بعابرة بأنّي كنتُ في مقتبل العمر، وقد كنتُ أريد أن أتزوج

بسرعة ومن دون تفكير، ولكنّها رفضتني بسبب فقري في ذلك الوقت، ولهذا السبب تركتُها، لأنّها كانت تفكر بصورة مادية على عكس تفكيري الذي كان منصباً على كل أنواع العواطف».

«وأظنّ بأنّ عواطفك تجاهها ما زالت كما هي، أليس كذلك؟»

تورّدت وجنتا سمير، واحتارَ من هذا السؤال، فإن أجاب بلا، فقد يشكّ بأنّه انتقم منها، وإن أجاب بنعم، فقد يكون قد غيّر من أقواله. تحدّث بتصنع: «قد يكون هناك بعض الميل تجاهها، ولكن ليس الحب يا سيدي المحقق، فقد انتهى الأمر منذ زمن، فقد رفضتني وانتهى».

«جواب دبلوماسي يا سمير، ولكن لا بأس به، بمعنى آخر: هناك جزء منك يريد الانتقام وقتلها».

دهشَ سمير من ذلك الاتهام المباشر، وتحدّث وهو يحاول بلع ريقه: «أنتقمُ منها!! ولماذا؟ لقد مضى على ذلك الموضوع عدة أعوام، ولماذا أقتلها الآن؟»

«يبدو أنّ نار الانتقام بدأت تشتعل من أول يوم حضرتْ فيه إلى هنا للرسم، ولذلك خططتَ لتلك الجريمة بصورة دقيقة، وقتلتها هنا يا سمير».

تعجّب سمير من أسلوب المحقق ليث، وتحدّث وهو يحاول التشبث بأقواله: «لقد أخبرتكَ يا سيدي المحقق: أنا لم أنتقم منها، وكيف أنتقم من شخص لم أعد أهتم به؟ وما قصدك

بأنّني قتلتها هنا؟ ألم تكن جثتها في الغابة؟»

« بالإمكان نقل الجثة إلى أي مكان يا سمير، ولكن لا يمكن نقل مسرح الجريمة».

شعر سمير بشيء من الخوف، وشعر بأنّه سيفضح أمره بصورة لا شعورية، تحدّث وهو يتصنع الثقة: «نقل الجثة!! هذا لم أرهُ إلا في الأفلام يا سيدي المحقق، لقد أخبرتك بما حدث، وليست لديّ أقوال أخرى».

كظمَ المحقق ليث غيظه، فقد بدأ يشك بأنّ الجريمة حدثت في هذا المكان، ولكنّه لا يملك الدليل، والشاهد الوحيد على هذا الأمر يعاني من مرض الوهم، ولا يستطيع إثبات الحجة من خلال ذلك الشاهد. تذكّر شيئاً كان يريد الاطلاع عليه: «هل من الممكن أن تُريني رسمة السيدة سعاد؟»

ابتسم سمير لذلك الطلب، وتحدّث بقليل من المرح: «سوف تعجبك يا سيدي المحقق، وأظنّ بأنّك سترغب برسم وجهك بعد هذا التحقيق».

لم يعلق المحقق ليث على ما قاله سمير، واكتفى بالابتسامة..

بعد ثلاث دقائق كانت الرسمة معروضة أمامهما، نهض المحقق ليث وألقى نظرة على تلك اللوحة الفنية التي شعر بأنّها مرعبة بعض الشيء، وقد شعر بوجود أمر غامض وغريب فيها في نفس الوقت، فقد كانت اللوحة تحتوي على السيدة سعاد وهي مستلقية على الأريكة الحمراء وقد أغمضت

عينيها، وكانت ابتسامتها غريبة بعض الشيء، وقد تناثرت البقع الحمراء في كل مكان. تحدّث المحقق ليث بكل هدوء: «إنّها لوحة فنية مرعبة بعض الشيء، ولكنّها رائعة يا سمير».

ابتسم سمير بصورة عريضة، وأخفى شعوره بالاعتزاز، ولكن سرعان ما تغيرت هذه الابتسامة إلى رهبة بعد أن سمع سؤال المحقق ليث..

تحدّث المحقق ليث بنبرة يكسوها الغموض: «هل كانت السيدة سعاد ترتدي هذه القلادة يوم مقتلها؟»

تذكّر سمير تلك القلادة التي كانت هدية منه، وشعر بأنّها لعنة تلاحقه في كل مكان. تحدّث وهو يحاول السيطرة على خوفه: «أجل، فقد كانت تلبسها في كل يوم تأتي فيه إلى هنا».

«ولكنّنا لم نجدها حول رقبتها يوم مقتلها، هل من المعقول أنّ المجرم أخذها؟»

تذكّر سمير بأنّهما لم ينتزعا تلك القلادة في ذلك اليوم، وشعر بدوار، فقد تكون في مكان ما، وتحدّث بصورة طبيعية: «ربما».

«غريب أمر هذا المجرم، أخذ القلادة ولم يأخذ الساعة -تنهّد بعمق- وماذا عن الأريكة؟ فهي حمراء في هذه اللوحة، وبينما الأريكة التي كنت أجلس عليها خضراء، فهذا يؤكد بأنّك استبدلتها».

«أجل يا سيدي المحقق، فقد رميتُ الأريكة الحمراء، وأخذت

بدلًا عنها الأريكة الخضراء، فأنا أغير أثاثي أكثر من مرة في العام الواحد».

«غيّرتها؟ أم تخلصتَ منها لأنّها مرتبطة بذكرى سيئة؟»

«لقد أخبرتك بأنّي غيّرتها فقط، ولستُ ممّن يتشاءمون من أثاثهم يا سيدي المحقق».

شعر المحقق ليث بارتباك سمير الواضح بخصوص تغيير الأريكة، ولكنّه ما يزال يفتقد إلى الدليل، تحدّث وقد جلس على الأريكة مجددًا: «لا بأس يا سمير، وأين تخلصتَ منها؟»

«لقد رميتها بالقرب من مكبّ القمامة، ويبدو أنّ هناك من أخذها، فأنا لم أرها عندما عدتُ من متجر الأثاث».

وبينما هما يتحدثان، حضرَ أحد أفراد طاقم الفريق الجنائي وهو يحمل كيساً مغلفاً وبداخله قلادة ذهبية، وقد كانت عليها نقط حمراء خفيفة. نظرَ الشرطي إلى المحقق ليث وتحدّث بكل احترام: «لقد وجدنا هذه القلادة تحت الأريكة التي بالقرب من المدخل».

ابتسم المحقق ليث وهو يستلم ذلك الكيس البلاستيكي، ونظر إلى سمير وما زالت الابتسامة تعلو محياه، وتحدّث بكل حماس: «ما الذي تفعله قلادة سعاد عندك يا سمير؟»

تلعثمَ سمير ولم يستطع النطق بأي كلمة، جلسَ على الكرسي القريب منه، وبعد أن استجمع قواه تحدّث: «ربما سقطت منها عن طريق الخطأ».

«هذا ممكن يا سمير، ولكن هل تستطيع أن تفسر ما هذه النقط الحمراء التي عليها؟»

«ألوان يا سيدي المحقق».

ضحك المحقق ليث، وتحدّث بكل هدوء إلى الشرطي المناوب: «أرجو أن تتحققوا من هذه النقاط، والتي أنا متأكد من أنّها قطرات من دم الضحية».

لم ينبس سمير ببنت شفة وهو ينظر إلى تلك القلادة التي ستدخله إلى السجن بعد التحقق من تلك النقاط.

تحدّث المحقق ليث بصورة رسمية: «أرجو أن ترافقنا يا سمير، فوجود مثل هذا الدليل في منزلك يجعل منك مشتبهاً به، ويؤسفني بأنّك ستبقى في السجن المؤقت حتى التحقق من تلك النقاط».

لم ينبس سمير ببنت شفة، ورافق الشرطة إلى السيارة. كان يتمنى أن تنقلب نقاط الدم تلك إلى اللون الأحمر الذي كان يستعمله في تزيين اللوحة، دارت الأفكار في خاطره، ولكنّه قرر تركها للوقت المناسب..

خرج المحقق ليث من منزل سمير، وأشار إلى أحد أفراد الشرطة: «بعد خروج الفريق الجنائي أغلق باب المنزل، وليكن هناك شرطي لحراسة المكان، لا أريد أن يدخل أحد إلى المنزل».

15

الاتهام

مكتب التحقيق/ الساعة العاشرة صباحًا...

دخل ناصر إلى مكتب المحقق ليث دون أن يأخذ إذناً بالدخول، وقد كان في حال يرثى لها، فقد دارت الأفكار السوداء في رأسه، فصديقه سمير يقبع في السجن المؤقت، وهو لا يعلم بماذا أخبرهم من اعتراف. كان خائفًا على نفسه أكثر من صديقه الذي لا يعلم سبب سجنه، تحدّث قبل أن يجلس على الكرسي: «ما الذي حدث؟»

ابتسم المحقق ليث: «هوّن عليك يا ناصر، ما الذي حلّ بك؟ أظن بأنّك تحب سميرًا بصورة كبيرة، ولهذا السبب أنت في حال يرثى لها».

«أنا آسف يا ليث لدخولي بهذا الشكل، ولكن كما تعلم سمير صديقي، وقد دهشت عندما شاهدتهم وهم يدخلونه إلى السجن المؤقت القريب منّا –جلس على الكرسي المقابل للمحقق ليث- ما الذي حدث؟»

«لقد حصلنا على دليل يثبت بأنّ سعاد قد قُتلت داخل منزل سمير».

فتح ناصر عينيه على اتساعهما: «دليل!!»

«أجل، لقد وجدنا قلادة السيدة سعاد وعليها قطرات حمراء، أغلب الظن بأنّها دماء».

رجع ناصر بذاكرته إلى المسرح الذي أعدّه، وتذكّر جثة سعاد بكل تفاصليها، وبدأ الشك يساوره بأنّها كانت تضع قلادة. حاول أن يبرئ ساحة صديقه سمير وساحته هو أيضًا: «ربما تكون قطرات للون الأحمر».

ابتسم المحقق ليث وقد ارتفع شاربه الضخم: «أنا في انتظار التقرير الجنائي، فقد تمّ إرسالها للتعرف ما إذا كانت دماءَ الضحية أم لوناً، على الرغم من أنّني أستبعد بأن يكون لوناً، فقد حدثت الجريمة أغلب الظن عند سمير، والدليل الآخر الذي أكاد أجزم بأن يكون قاطعًا هو الأريكة التي تخلّص منها بخاصة في هذا الوقت».

شعر ناصر بالدوار، فقد هدم سمير كل أحلامه من خلال تصرفاته الغبية، حاول أن يتبرأ منه، وتحدّث بكل هدوء: «لقد بدأتُ أشك به، فمن خلال هذه المعطيات لا مجال للشك بأنّ له علاقة فيما حدث».

تعجّب المحقق ليث من تغير ناصر المفاجئ: «أنا آسف لما حصل لصديقك، ولكن كما تعلم فنحن لنا قواعدنا التي نسير وفقها، ووجود مثل هذه الأدلة يثبت بأنّ سميراً له ارتباط قوي بما حصل، والأمر الآخر الذي لن أعتبره دليلاً كاملاً، هو وجود شاهد على ما حدث وهو البستاني، فيبدو أنّهُ لم يكن يتوهم يومها، وقد رأى بالفعل جثة سعاد».

«للأسف فكل الأدلة تشير إلى تورط سمير في هذه الجريمة –تحدّث وهو متردد بعض الشيء، فما يزال يجهل ما قاله سمير بعد حصولهم على ذلك الدليل- وماذا كانت ردة فعل سمير

على ذلك الدليل؟»

ابتسم المحقق ليث: «قال بأنّ تلك القطرات لون أحمر وليست دماء، ولكنّ ارتباكه وهيئته يجعلانك تشكّ بأنّه يقول الحقيقة، على العموم نحن في انتظار نتائج المختبر».

شعر ناصر بالارتياح لأنّ سميراً لم يعترف بما حدث، ولكنّه كان على يقين بأنّه لن يقاوم عندما يكتشفوا بأنّ تلك القطرات دماء وليست لوناً. تحدّث وهو ينهض من مكانه: «هل بإمكاني أن أطمئن على سمير؟»

«بالطبع، ويمكنك نصحه بأن يعترف بصورة سريعة، كيلا نخسر المزيد من الوقت».

هزّ ناصر رأسه بالإيجاب وهو يهم بالخروج من مكتب المحقق ليث، وقد ومضت في مخيلته جثة سعاد المضرجة بدمائها، وفكّر في طريقة للتخلص من هذا المأزق الذي ورّط نفسه فيه، وكيف سيقنع سميراً بأن يعترف بجريمة القتل دون إقحامه في الموضوع. كل تلك الأفكار كانت تجول في خاطره وهو يتجه ناحية السجن المؤقت...

16

الاعتراف

السجن المؤقت/ الساعة العاشرة وأربعونَ دقيقة صباحًا..

دخل ناصر إلى مبنى السجن المؤقت وقد رعشت يداه، فقد شعر بأنّه سيسجن قريبًا في حال اعترف وأقرّ عليه سمير، ولهذا أراد أن يقنع سميراً بعدم ذكر اسمه في التحقيق في حال اكتشفوا قطرات دماء سعاد على تلك القلادة.

بعد ثلاث دقائق..

جلس ناصر مقابل سمير، كانا في غرفة مخصصة للتحقيق بالقرب من السجن المؤقت، كانا صامتين في الدقائق الأولى من اللقاء، كانت نظرات سمير تدل على خوفه ورعبه من السجن الذي سجن فيه بصورة مؤقتة.

تحدّث ناصر كاسرًا حاجز الصمت الذي كان بينهما: «لقد أخبرني المحقق ليث عن موضوع قلادة سعاد التي وجدوها في منزلك هذا الصباح».

تحدّث سمير وقد غلبت على نبرة صوته مشاعر مختلطة بين الغضب والرهبة: «أجل تلك القلادة التي كانت هدية مني لها، لم أكن أعلم بأنّها ستدخلني السجن، ولكن أظن بأنّها لعنة من صاحبتها، فقد اشتريتُها من أحد اللصوص عندما كنتُ فقيرًا، أظن بأنّ صاحبتها أصابتني بدعواتها». وضحك بصورة هيستيرية.

نظر ناصر إلى صديقه الذي كان وضعه مزرياً إلى أبعد الحدود، فقد قضى ساعتين تقريبًا في سجن مؤقت وليس في سجن مركزي، وأصبح وضعه بهذه الحال. تحدّث وهو يحاول مواساته: «هوّن عليك يا صديقي، فحتى الآن لم يكتشفوا ما إذا كانت تلك القطرات دماً أم لوناً».

ابتسم سمير ابتسامة صفراء: «هل تحاول التخفيف عنّي يا ناصر؟، كلانا يعلم بأنّ تلك القطرات دم، فكيف لها أن تكون لوناً، أتمنى أن تحدث معجزة وتكون لوناً فقط، ولكن هذا محال».

«إذا كانت قطرات دماء، فعليك أن تخبرهم بما حصل يا صديقي -وتردّد بعض الشيء، وقد احمرَّ خدّه الأسمر- ولكن حاول أن تغير من مقطع مسرح الجريمة الذي صنعته أنا».

أصبحَ وجه سمير أحمر بصورة غير طبيعية، وتحدّث بعصبية: «إذن أنت أتيت لكيلا أعترف على ما فعلته أنت في ذلك اليوم المشؤوم، يا لك من أناني». وأشاح بوجهه.

تحدّث ناصر بلطف: «أنا لستُ أنانياً يا سمير، فقد ساعدتك في إخفاء الجريمة التي فعلتها أنت، فلو لم تقتل تلك المسكينة لما حصل ما حصل..

قاطعه سمير بعصبية وهو ينهض من مكانه: «أنا لم أقتلها يا ناصر، لقد أخبرتك بما حدث في ذلك اليوم، فلماذا تصر على أنّني من قتلها؟»

«إذا لم تكن أنت، فمن قتلها يا سمير؟»

جلس سمير وقد وضع كلتا يديه على مقدمة رأسه: «لا أعلم، ربما زوجها أو البستاني، لا أعلم يا ناصر، أنت محقق، وعليك أن تكتشف الأمر».

شكّ ناصر فيما قاله سمير، وحاول مسايرته من أجل أن يضمن عدم اعترافه عليه بخصوص المسرح الذي صنعه، تحدّث بلطف: «إذا كان الأمر كما تقول فعليك أن تخبر المحققَ ليثاً بما حصل، وسوف أخبره بأن يساعدك في التعرف على الفاعل الحقيقي، ولكن -وتردّد بعض الشيء- أرجو ألا تخبره عن مسرح الجريمة الذي صنعته أنا».

لم يعلق سمير، واكتفى بالنظر إلى ناصر وهو شارد الذهن..

«استمع لما سأقوله يا سمير، أريد منك أن تخبرهم بما حدث في منزلك، وبعدها تخبرهم بأنّك أنتَ من أعددتَ مسرح الجريمة في الغابة، واتصلت بي لكي أكون شاهداً على ذلك المسرح».

هزّ سمير رأسه بالإيجاب، دون أن ينبس ببنت شفة..

خرج ناصر من الغرفة، وأمر الشرطي بأخذ سمير إلى السجن مجددًا، ورحل وما زال الشك يساوره في ثبات سمير وتماسكه عند التحقيق..

17

القلادة

مكتب المحقق ليث/ الساعة الحادية عشرة والنصف صباحًا...

نظر المحقق ليث إلى النافذة التي تطل على مواقف السيارات الخارجية، ولاحظ ناصر –الذي كان عائدًا من مبنى السجن المؤقت- وهو ينزل من سيارته المرسيدس السوداء الكلاسيكية طراز 1990، ارتفع شارباه بسبب ابتسامته العريضة، فقد كان المحقق ليث من عشاق السيارات الكلاسيكية، ولذلك فهو يستمتع بمشاهدة مثل تلك السيارات القديمة.

قاطعَ تلك اللحظات نغمة هاتفه الكلاسيكية، نظر إلى الرقم الذي كان ينتظره بفارغ الصبر، وعلى الفور تحدّث بصوته الجهوري: «مرحباً –ابتسم ابتسامة عريضة أبرزت شاربه الضخم بصورة أكبر، وردّد ما قاله المتصل- القلادة تحتوي على قطرات دم الضحية، شكرًا جزيلًا يا صديقي». أغلق خط الهاتف وتوجّه ناحية هاتف المكتب، وطلب من الشرطي المناوب أن يحضر سميراً للمثول أمام التحقيق.

***

بعد نصف ساعة..

جلس سمير – الذي بانت على ملامحه آثار الرعب والإرهاق

من حدوث كل هذه الأحداث المروعة بالنسبة له وفي يوم واحد- وهو ينتظر المحقق ليثاً للتحدث ولمعرفة سبب استدعائه.

تحدّث المحقق ليث بصورة رسمية وبهدوء تام: «لقد ظهرت نتائج القطرات الموجودة على القلادة، وقد اتّضح بأنّها قطرات لدم الضحية سعاد، هل من الممكن أن تخبرني بما حدث في تلك الليلة يا سمير؟»

لم يتفاجأ سمير ممّا سمعه للتو، فقد كان على يقين بأنّ تلك القطرات هي قطرات دم سعاد. نظر إلى وجه المحقق ضخم الجثة، وتحدّث في محاولة لاستلطافه واستعطافه: «سوف أخبرك بكل ما حدث يا سيدي المحقق، وأتمنى أن تصدقني».

تبسّم المحقق ليث: «تفضل، كلّي آذان صاغية».

تنهّد سمير بصورة مطولة: «لقد جاءت السيدة سعاد إلى منزلي عند الساعة السابعة وخمسٍ وأربعين دقيقة مساءً، وبعد أن تبادلنا التحية ذهبت إلى المكان المخصص لرسمها، وقد كان ذلك اليوم هو آخر جلسة للرسم. وبعد مضي خمسٍ وأربعين دقيقة، أي في حدود الثامنة والنصف ذهبتُ لأحضر المزيد من الألوان الزيتية من المخزن، وقد استغرقتُ عشر دقائق لإحضار تلك الألوان، وعندما رجعت إلى سعاد رأيتُها ملقاة على الأرض والدماء تنزف من رأسها، وعندما تحسست النبض تبيّن بأنّها قد فارقت الحياة».

«يا لها من قصة جميلة يا سمير! كيف لها أن تسقط هكذا

ومن دون أي سبب؟».

ارتعشت يد سمير قليلًا، وتحدّث وهو يحاول أن يستجمع رباطة جأشه: «يبدو بأنّ هناك من قتلها يا سيدي المحقق، أنا لم أقتلها صدقني».

«سوف أجاريك في هذه القصة، أخبرني كيف وصلتْ جثتها إلى الغابة؟»

«عندما اكتشفت بأنّها ميتة، وضعتها على الأريكة على وضعيتها التي تكون عليها عندما أريد أن أرسمها..

قاطعه المحقق ليث وقد فتح عينيه على اتساعهما: «لماذا أرجعتَها إلى الأريكة؟»

تردد سمير بعض الشيء: «لكي أرسمها..

قاطعه المحقق ليث، وقد نهض من مكانه: «ترسمها!! ترسم جثة؟!!»

اهتزت ركبتا سمير بصورة غريبة، وأحسّ بجفاف في فمه من ردة فعل المحقق ليث، حاول أن يتحدث من دون تلعثم: «نعم يا سيدي المحقق، لقد قمتُ برسمها، فمثل تلك الرسمة تكون بمثابة لوحة فنية غامضة ومرعبة وسيتم تخليدها».

جلس المحقق ليث وقد قطّب جبينه بعد سماعه لتلك الكلمات الغريبة، والتي شعر بأنّها جنونية بشكل غير طبيعي، تحدّث بنبرة غاضبة: «ما هذا الفن المقزز؟ هل تريد أن تخلّد رسمة لجثة، يا لك من غريب الأطوار! -وتحدّث بريبة- وتريد

مني أن أصدق بأنّك لم تقتلها؟».

شعر سمير بأنّه قد بالغ في حماسه بخصوص تلك الرسمة، والتي جعلت من المحقق يشك به أكثر: «يا سيدي المحقق أنا لم أقتلها، وها أنذا أخبرك بتفاصيل ما حدث، فمن المؤكد كنتَ ستسألني عن سبب التخلص من تلك الأريكة، ولهذا أخبرتك عن رسمي للجثة».

تبسّم المحقق ساخرًا: «أكملْ قصتك الخيالية يا سمير».

«بعد أن انتهيتُ من رسمها، قمت بدهنها بالمرهم الذي يبعد عنها الحشرات، وبعدها ضربت ساعتها التي كانت تشير إلى الحادية عشرة لكي أشتت انتباه الطبيب الجنائي وأضللهُ عن معرفة وقت الوفاة. وبعد ذلك قمتُ بلفّها بقماش سميك وحملتها إلى الغابة، وهناك هيّأتُ المسرح كما رأيتموه أنتم، وعندما انتهيتُ من المسرح رجعتُ وأخذت سيارتها إلى المكان ذاته – تنهّد بعمق- وعندما رجعت اتصلت بناصر لكي يأتي لنتمشى، ويكون هو الشاهد على ما حدث».

«ومتى حضر ناصر؟»

«عند العاشرة والنصف».

نهضَ المحقق ليث من مكانه وهو يبتسم، أخذ يتمشى في المكتب، وتحدّث بكل هدوء: «هل هذا كل ما حدث؟»

«نعم هذا ما حدث».

«لنفرض بأنّي صدقت بأنّك لم تقتل سعاد، فكيف خططتَ لما

بعد موتها؟»

شعر سمير بأنّه يريد النهوض ولكنّ ركبتيه لم تساعداه على ذلك. تحدّث وهو يحاول تأليف كذبة متقنة بعض الشيء: «عندما انتهيت من الرسم، فكرت بما أفعله بالجثة، وعندها تذكرت أحد الأفلام الذي شاهدته، وكيف قام المشتبه به بتلفيق مسرح جريمة خاص به».

«ما هو اسم المرهم؟»

تلعثم سمير بعض الشيء: «لا أذكر اسمه، وقد تخلصت منه».

ابتسمَ المحقق ليث بصورة عريضة: «إجاباتك جاهزة على كل سؤال، كم تعجبني مراوغتك».

«لماذا لا تصدقني يا سيدي المحقق؟»

توقفَ المحقق ليث ونظر إلى وجه سمير بصورة مباشرة: «لقد تمّ تصميم مسرح الجريمة بإتقان تام وبتخطيط مسبق، ولا يمكن أن تقول لي بأنّ فكرة تصميم ذلك المسرح كانت وليدة الساعة التي رأيتَ فيها جثة سعاد».

«هذا ما حدث، ولماذا كل هذا التعجب؟».

«إذا كان هذا ما حدث، فأنتَ قد خططت لهذه الجريمة منذ زمن، وليس هناك من قتلها غيرك».

شعر سمير بالدوار، ولم يعرف: هل يعترف على ناصر أم يواصل الكذب بخصوص ذلك المسرح؟ تحدّث وهو يتصنع

الهدوء: «لقد أخبرتك يا سيدي المحقق أنا لم أقتلها، ولقد قمتُ بذلك العمل والمسرح الخاص بي ليس بتخطيط مسبق كما قلت أنت، وإنّما تعلمتُ بعض الأساليب من خلال الأفلام، ولا تنسَ أنّني فنان، وبإمكاني رسم مسرح خاص بي على الطبيعة».

«ألم يساعدك أحد؟» وجّه المحقق ليث سؤاله إلى سمير وهو ينظر إلى لغة جسد محدّثه، فقد بدأ يشك بأنّ ناصراً له يد فيما حدث.

تحركت عضلة خد سمير اليمنى بصورة لا شعورية، فسؤال المحقق ليث فيه شكّ مبطن بناصر. تحدّث وهو يحاول تمثيل دور الفنان المغرور: «لا يا سيدي لم يساعدني أحد، فأنا أرسم اللوحات الفنية لوحدي، وكذلك رسمت ذلك المسرح لوحدي».

«هل يمكنك أن تشرح لي كيف ضربتَ ساعة سعاد لتقف عند الحادية عشرة، وناصر زاركَ عند العاشرة والنصف؟» نظرَ المحقق ليث إلى سمير وقد علت وجهه ابتسامة غامضة.

شعر سمير بجفاف حلقه بصورة مفاجئة، بخاصة بعد سماعه لهذا السؤال الذي لم يعرف كيف يجيب عنه، تحدّث وكأنّه غريق يحاول التشبث بآخر قشة: «لقد توقفت الساعة عند الحادية عشرة، ولكنّي ضربتها عند العاشرة».

صرخ المحقق ليث بنبرة غضب: «كفّ عن المماطلة يا سمير، فكل هذه الأكاذيب والقصص لن تنطلي عليّ».

رعشَ جسم سمير من تلك الصرخة، ولم يعلم ما يقوله، فهو

يحاول التستر على صديقه، ولكنّه شعر بأنّه تورط في جريمة قتل مخطط لها بالكامل كما يدعي المحقق الضخم الذي أمامه. تذكّر السجن الذي كان فيه قبل قليل، وتخيّل كيف سيقضي بقية حياته في السجن مع المجرمين والقتلة، هذا إذا لم يتم إعدامه بعد أن تثبت عليه التهمة. كل تلك الأفكار كانت تجول في خاطره وهو ينظر إلى المحقق ليث، وعلى الفور قرّر أن يدلي باعترافه الأخير وليكن ما يكون، فلذة الحرية فاقت كل شيء في تلك اللحظة. تحدّث وهو منكس رأسه: «سيدي المحقق سوف أخبرك بكل الحقيقة، فقد كذبت في نقطة واحدة».

تحدّث المحقق ليث باستهزاء: «نقطة واحدة؟»

«أجل، مسرح الجريمة – تردّد فيما سيقوله- لقد كان من صنع ناصر..

قاطعه المحقق ليث: «ناصر!! هل أنتَ متأكد؟ فهذا الاتهام خطير يا سمير».

«أعلم يا سيدي المحقق بأنّ هذا الاعتراف قد يؤثر على حياة ناصر المهنية، ولكن هذه هي الحقيقة، وأتمنى ألا تطلعه على أقوالي، فهو صديقي وأنا أخجل من أن يعلم بأنّي قد اعترفت عليه».

«هو لن يؤثر على حياته المهنية فقط، بل وسيحاكم –تنهّد بعمق- أكمل».

«لقد أخبرتك سابقًا بأنّي رأيت جثة سعاد بعد عودتي من

المخزن، وبعدها قمت برسمها، وعندما انتهيت اتصلت بناصر ليكي يأتي ويساعدني، وقد كان يريد استدعاء الشرطة، ولكنّي رفضت، فقد كنت أخشى أن يتم اتهامي، وقد اقترحت عليه بأن يصمم مسرحاً خاصاً به، وقد نفّذ ذلك بكل حرفية».

جلس المحقق ليث على الكرسي بكل هدوء، وتحدّث وهو يفرك شاربه: «هذا الكلام الذي تقوله خطير جدًا، بخاصة الذي يخصّ ناصراً وتصميمه للمسرح».

«هذا كل ما حدث يا سيدي المحقق، وبإمكاني مواجهة ناصر بالأمر، إذا ما تطلّب الأمر، على الرغم من أنّي لا أريد مواجهته».

هزّ المحقق ليث رأسه، وتحدّث إليه وكأنّه يتحدث إلى أحد المستجدين في مجال التحقيق: «نحن كمحققين لابد وأن نتعامل مع القضية بصورة حيادية، فلا يمكن أن تكون هناك أي محاباة لأحد ولو كان أحد المحققين. والنقطة الأخرى وهي نكرانك لجريمة القتل، وإخباري بأنّ هناك من قام بتلك الجريمة، فمن الواجب عليّ التحقق منها -نظرَ إلى سمير بعينين نصف مغمضتين- مَن قتل السيدة سعاد برأيك؟»

«ربما يكون زوجها أو البستاني، فكلاهما يكنّ الحقد لي، ويريد التخلص مني بأي طريقة».

«وكل ذلك بسبب الغيرة والحقد؟ – مالَ بجسده ناحية سمير، وتحدّث بعينين نصف مغمضتين- بما أنّك أخبرتني بكل الحقيقة كما تقول، فهلا تكمل اعترافك وتخبرني عن علاقتك

بسعاد؟».

«لقد كنت أحبّها فيما مضى، وعندما أتت لكي أرسمها شعرتُ بالعاطفة القديمة وقد رجعت من جديد، ولكن كان هناك ما يصدّني عنها وهو رفضها لي بسبب فقري في تلك الأيام، ولهذا كنتُ ما بين نارين، فبعض الأحيان أحاول التقرب منها وأحيانًا أصد عنها، مشاعري مختلطة يا سيدي المحقق».

«يا لك من شاعري يا سمير!- لفّ شاربه الضخم- بالنسبة لجريمة القتل التي حدثت في منزلك، هل كان هناك أي أداة للجريمة بالقرب من المسرح؟»

نظر سمير إلى الأعلى وكأنّه يتذكر: «لا يا سيدي المحقق، لم يكن هناك أي أداة صلبة بالقرب من الجثة».

«وهل تمّ تنظيف المنزل بعد وقوع الجريمة؟»

«لا، فالخادمة كانت موجودة صباح يوم الجريمة، وموعدها الثاني هو في الغد».

«هذا جيد-وتحدّث بشكل رسمي- لقد انتهيت من التحقيق معك، سوف تبقى في السجن المؤقت حتى نتأكد من أقوالك، وسوف أستدعيك في حال احتجنا إليك -نظر إليه بصورة جادة- وسنقوم بتفتيش منزلك اليوم، فقد نجد ما يدل على القاتل». ضغط على أحد الأزرار لاستدعاء الشرطي لأخذ سمير.

دخل الشرطي على الفور، وقد فهم من حركة المحقق ليث الأمر بأنْ يأخذ سميراً إلى السجن المؤقت..

بقيَ المحقق ليث لوحده يفكر بما قاله سمير للتو، وشعر بأنّه صادقٌ نوعًا ما، فناصر باستطاعته أن يصنع مسرحاً مثل ذلك المسرح بخاصة مع خبرته في التحقيق، ورؤيته لأكثر من مسرح للجريمة في السابق، وهذا يزيل الستار عن لغز ذلك المسرح المتقن.

ودار في خلده السؤال الذي بدأ يحيره وهو من قتل سعاد؟ هل هو سمير الذي قتلها بسبب رفضها له فيما مضى؟ أم هو البستاني الذي لا يفرق بين الواقع والخيال؟ أم ذلك الزوج الغيور الذي ادعى بأنّه يبحث عن عقار للبيع في مثل ذلك اليوم؟

نهض من مكانه وقد تذكّر كاميرة المراقبة التي سجلت أحداث يوم الجريمة. الكاميرة لم تكن مسلطة على ذلك الشارع المظلم، وإنّما على الشارع المؤدي إلى منزل سمير والذي يبعد عشر دقائق تقريبًا، وهو شارع واحد فقط منقسم إلى مسارين: ذهاب وإياب، وعلى الفور أدار أرقام الهاتف متصلاً بالشرطي المناوب، وتحدّث بصوته الجهوري: «أرجو أن تمدّني بتصوير الشارع المؤدي إلى منزل سمير، وذلك في يوم الجريمة، أتمنى أن يكون عندي في أقرب فرصة، وأرجو أن تطلب من فريق البحث الجنائي أن يفتشوا منزل سمير للبحث عن أي قطعة أثاث تكون مناسبة كأداة للجريمة، وأرجو أن تؤكد على الشرطي الذي يحرس منزل سمير ألا يدخل أحداً –وتحدّث بصرامة- وإن كان المحقق ناصراً».

أغلق خط الهاتف وأخذ يجوب مكتبه ذهابًا وإيابًا، وهو يفكر

في القضية التي شعر بأنّ فيها شيئاً غير طبيعي، وحجراً ناقصاً بحاجة لإضافة لتكتمل الأحجية..

18

الأصيص

منزل المحقق ليث/ الساعة الرابعة عصرًا...

استيقظ المحقق ليث من قيلولته بعد سماعه لنغمة هاتفه الكلاسيكية، وما أن شاهد الرقم الظاهر على الشاشة حتى نهض وهو يحاول تعديل صوته الذي غلبت عليه البحة بسبب النوم، تحدّث وهو يكحّ: «هل هناك جديد؟»

تحدّث الطرف الآخر بكل احترام: «نعم يا سيدي المحقق، لقد وجدنا -عن طريق اللومينول- آثار دم تم مسحها من أسفل الأصيص، ولكنّه بعيد عن مسرح الجريمة».

«هذا جيد، فقد يكون أداة للجريمة، أرجو أن تتأكدوا من معرفة صاحب الدم، وأن ترفعوا البصمات من فوق هذا الأصيص».

«هناك شيء آخر يا سيدي المحقق..

قاطعه المحقق ليث بسرعة وبحماس: «ما هو؟»

«لقد جاء البستاني وحاول أن يدخل إلى المنزل، ولكنّنا منعناه من الدخول».

«البستاني!! ولماذا؟»

«يقول بأنّ سميراً استدعاه لسقاية الأشجار الداخلية».

ضحك المحقق ليث: «كيف لسمير أن يستدعيه وهو في

السجن، يبدو بأنّه يتوهم –سكتَ لبرهة، وتحدّث بنبرة يسودها الشك- أو أنّه يريد أن يأخذ شيئاً نسي أن يأخذه في تلك الليلة – تحدّث بصورة رسمية- من الجيد أنّكم منعتموه من الدخول». وأغلق الخط، وقد علت وجهه ابتسامة..

19

الشك

في اليوم التالي /مكتب التحقيق/ الساعة الثامنة صباحًا. . .

شغّل المحقق ليث شريط كاميرة المراقبة بدءًا من الساعة السابعة مساءً. كان الشارع هادئاً نسبيًا، فعدد السيارات التي تمر قليل جدًا، وتكاد تكون سيارة كل خمس دقائق، كان يبحث عن سيارة زوج سعاد (المرسيدس البيضاء)، وقد كانت المهمة سهلة بسبب قلة السيارات، والذي جعل من المهمة سهلة أيضًا هو أن الكاميرة لا تقوم بالتصوير إلا عند وجود حركة، سواء حركة سيارة أو حركة إنسان أو أي حركة تكون في مرماها.

بعد مرور خمسين دقيقة، لاحظ المحقق ليث سيارة زوج سعاد، وعلى الفور أوقفَ الشريط للتأكد من رقم السيارة، وكان الرقم ذاته، علتْ وجهه ابتسامة عريضة، فقد وجد ضالته بصورة سريعة، وقام بتسجيل ملاحظة.

وجلس ينتظر الوقت الذي ستظهر فيه السيارة وهي تعود، وبعد خمسٍ وعشرين دقيقة لاحظ سيارة مميزة بالنسبة له، وقد أثارت انتباهه، أعاد الشريط وجعله يعمل بحركة بطيئة، ودقّق النظر أكثر، وتحدّث بصوت مرتفع: «إنّها سيارة ناصر!! ولكن لماذا في هذا الوقت؟؟ ألم يقل بأنّه كان مع سمير عند الساعة العاشرة والنصف؟».

وبعد مرور أربعين دقيقة –كانت الساعة تشير إلى الثامنةِ

وخمسٍ وخمسينَ دقيقة مساءً- لاحظ سيارة ناصر وهي ترجع على الشارع ذاته، ولم يلاحظ عودة سيارة زوج سعاد حتى تلك اللحظة.

عند الساعة العاشرة والثلث، لاحظ المحقق ليث مرور سيارة ناصر وهي متجهة ناحية منزل سمير للمرة الثانية. نظر المحقق ليث إلى السيارة وقد ازداد ذهوله، فهذا يؤكد بأنّه كان موجوداً مع سمير بالفعل عند العشرة والنصف، ولكن ما تفسير الزيارة الأولى؟ بقيَ في حيرة من أمره، فسيارة زوج سعاد لم ترجع بعد.

عند الساعة الحادية عشرة والنصف لاحظ رجوع سيارة زوج سعاد. نظرَ المحقق ليث إلى السيارة وبقي التساؤل حول: ماذا كان يفعل خلال تلك الساعات التي قضاها في تلك المنطقة؟

رفع المحقق ليث سماعة الهاتف، وطلب من الشرطي المناوب أن يستدعي هشاماً زوج سعاد بصورة عاجلة.

***

بعد مرور ساعة..

كان هشام يجلس مقابل المحقق ليث وقد بان عليه الإرهاق والتعب، فمشاهدته للكوابيس قد أثرت عليه بصورة غريبة. لم ينطق بأي كلمة وهو ينظر إلى المحقق ليث.

تحدّث المحقق ليث بعد أن أنهى تسجيل بعض الملاحظات على جهاز الحاسوب: «أين كنت عند الساعة الثامنة مساءً في يوم الجريمة؟»

شعر هشام بأنّ أمره قد كشف، وتحدّث دون أي مراوغة: «في منزل سمير».

فتحَ المحقق ليث عينيه على اتساعهما، وهو ينظر إلى هشام الذي بدا وكأنّه محارب أنهكته الحرب وبقيَ وحيدًا فيها ولا يأبه بالموت. تحدّث والدهشة واضحة على محياه: «منزل سمير!!»

«أجل يا سيدي المحقق، لقد كنت في حديقته أراقب سعاد من خلال النافذة وهي في الداخل، فأنا لم أكن أثق فيما كان يقوله ذلك البستاني، ولهذا ذهبتُ للتأكد بنفسي».

«وهل تأكدت من وجودها إلى درجة أنّك قتلتها؟»

فزع هشام من تلك الكلمات، وكأنّ الكابوس رجع يراوده مجددًا. تحدّث وهو يقاوم حتى آخر رمق: «لم أقتلها يا سيدي المحقق، لقد كنتُ أراقبها فقط، وعندما رأيت أنّ كل شيء على ما يرام رحلت –سكتَ لبرهة- ولماذا تقول بأنّي قتلتُها؟ ألم تمت في الغابة؟»

«كلا، لقد ماتت في منزل سمير..

قاطعه هشام بحدة: «سمير قتلها إذن، لا يوجد تفسير آخر».

«نحن في صدد التعرف على ملابسات القضية –وتغيرت نبرته إلى الشك- هل بقيتَ تراقبها حتى الحادية عشرة؟»

«لقد رحلتُ من منزل سمير عند الثامنة والربع، وبعدها ذهبت للتجول في تلك المنطقة للبحث عن عقار».

«ثلاث ساعات وأنتَ تبحث عن عقار!!»

«أجل يا سيدي المحقق، فبعض الأحيان كنتُ أترجّل من السيارة لتفحص الأرض أو المبنى، ولذلك فالوقت يضيع دون أن أشعر به».

شكّ المحقق ليث في كلام هشام، وتحدّث بريبة: «ألم تدخل إلى داخل منزل سمير؟»

تعجّب هشام من تلك النبرة، وتحدّث بارتباك: «لا يا سيدي المحقق، لقد أخبرتك بأنّي كنت في الحديقة فقط، ولم أدخل إلى الداخل».

«ألم تلاحظ شيئاً غريباً عندما كنت في منزل سمير؟»

«لا، ولكن عندما ابتعدت عن منزل سمير، لاحظت البستاني وهو يترجل من سيارته».

«وكم كانت الساعة؟»

«الثامنة وخمسٍ وعشرون دقيقة تقريبًا، فقد توقفت عند أحد الأراضي قبل أن ألاحظه».

«ألم ترسلهُ أنت للمراقبة؟ فقد وردهُ اتصال من أحدهم يطلب منه المراقبة».

ارتبك هشام بعض الشيء: «لا لم أتّصل به ولم أرسله، يا سيدي المحقق، ولو أرسلته لما كنتُ ذهبتُ لمراقبتها بنفسي، على الرغم من عدم ثقتي بما يقوله».

«هل لديك أقوال أخرى؟»

هزّ هشام رأسه بالنفي..

تحدّث المحقق ليث بشكل رسمي: «أرجو أن تبقى في قاعة الانتظار حتى النظر في أقوالك».

رحل هشام وهو منكّس رأسه وقد غلب عليه الخوف، فقد شعر بأنّ روح زوجته تلاحقه، وبدأت تصيبه بلعناتها....

بقيَ المحقق ليث لوحده يفكر فيما قاله هشام، وبتأخره غير المفهوم في البحث عن عقار في منطقة شبه نائية، ولا يوجد فيها إلا بنايات معدودة بعيدة بعض الشيء عن منزل سمير، وحتى الأراضي التي للبيع تكاد تكون معدودة. وتذكّر ذلك البستاني غريب الأطوار الذي بدأ يشك في تحركاته غير المفهومة. أخذ يفكر في تحركاته الغريبة، وفي رغبته بدخول منزل سمير على الرغم من وجود الشرطة.

توجّه ناحية الهاتف، وطلب من الشرطي المناوب استدعاء البستاني في الحال..

***

بعد ساعة..

نظر المحقق ليث -للمرة الثانية- إلى تقرير الأصيص الذي أمامه وقد أصابه الذهول، قرأ التقرير بصوت مرتفع بعض الشيء: «بعد التحقق من آثار الدم - التي مسحت- اتضح بأنّها تعود إلى الضحية سعاد، وأمّا بالنسبة للبصمات فقد كانت هناك بصمة واحدة وتعود إلى المحقق ناصر!!» بدأ الشك

يساوره حول تحركات ناصر المريبة، فقد تبيّن بأنّه هو من صمّم ذلك المسرح الغريب! وبدأ يتساءل عن مروره عند الساعة الثامنة والربع تقريبًا من أمام كاميرة المراقبة ورجوعه بعد فترة من الزمن، والآن بصمته هو فقط موجودة على الأصيص.

رفع سماعة هاتف المكتب، وتحدّث بصورة رسمية: «هل من الممكن أن تأتي إليّ يا ناصر؟»

ردّ ناصر وقد شعر بأنّ هناك خطبًا ما، وأنّ أمره قد كشف، وتحدّث وقد غلب عليه الخوف: «سأكون عندك بعد عشر دقائق».

20

المواجهة

مكتب المحقق ليث/ الحادية عشرة والنصف صباحًا..

نظر ناصر إلى المحقق ليث وقد شعر من تعابير وجهه بأنّه غاضب، تحدّث بكل هدوء: «هل حدث أي جديد في القضية؟»

ابتسم المحقق ليث: «بالطبع، هناك الكثير من الأمور الجديدة التي حدثت».

ارتبكَ ناصر من نبرة ليث الغريبة، والتي كانت أقرب إلى الاستهزاء. حاولَ أن يحافظ على رباطة جأشه: «أشعر وكأنّ هناك خطبًا ما».

«يا ناصر: أنت زميل عمل ومحقق ناجح، فلماذا لم تراعِ كل هذه الأمور وساعدتَ صديقك في عمله المشين؟».

فهمَ ناصر بأنَّ سميراً قد اعترف عليه، نظر إليه وهو يحاول تبرير موقفه: «أنا أعلم بأنّي ارتكبتُ خطأً فادحاً عندما ساعدته في تصميم مسرح الجريمة ذاك..

قاطعه المحقق ليث بعصبية: «لماذا؟»

«لقد كنت أريد أن أتصل بالشرطة في بادئ الأمر، ولكن هو من طلب مني المساعدة، وللأسف أطعتهُ، وحدث ما حدث».

نظر المحقق ليث إلى ناصر وقد قطّب جبينه: «هل حسبتَ

بأنّك ستصمم مسرحاً لا يمكن لأحد أن يكتشفه؟»

لم ينبس ناصر ببنت شفة..

«أين كنت يوم الجريمة بين الثامنة والعاشرة مساءً؟»

فتح ناصر عينيه على اتساعهما، وقد فهم بأنّهم قد عرفوا تحركاته: «لقد زرت سميراً بطلب منه -فقد طلب مني يومها أن أزوره عند الساعة الثامنة والنصف مساءً-، ولكنّي تفاجأت بوجود سيارة سعاد، ورحلت على الفور».

تبسّم المحقق ليث: «رحلت، أم قتلتَها يا ناصر».

شعر ناصر بأنّ عضلة خده اليمنى ستفضح خوفه، تحدّث وهو يحاول أن يكون أكثر قوة: «هل تمزح يا ليث؟»

«أنتَ تعرف بأنّي لا أمزح في مثل هذه الأمور، فوجودك وقت وقوع الجريمة يجعل منك مشتبهاً به، والأمر الآخر: بصمتك الوحيدة على أداة الجريمة تُدينكَ على فعلتك».

نهض ناصر من مكانه، وتحدّث بتلبّك: «ما الذي تقصد بأداة الجريمة يا ليث؟، لقد بدأتَ تخيفني».

اكتفى المحقق ليث بكلمة واحدة: «الأصيص».

جلس ناصر على الكرسي مجددًا: «تقصد الأصيص غريب الشكل، لا يمكن بأن تكون بصمتي فقط الموجودة، فقد غيّر سمير مكانه، ولابدّ من أن تكون بصمته هو موجودة أيضًا».

«لقد وجدنا بصمتك فقط».

«لقد أمسكتُ به يوم الجريمة لتفحّص ما إذا كانت عليه قطرات من الدماء، وعندما لم ألاحظ أي شيء، أرجعتهُ إلى مكانه».

«متى دخلت منزل سمير؟»

«الساعة الثامنة والأربعين دقيقة تقريبًا».

«هل أنت متأكد؟ فقد مررتَ بالشارع المؤدي إلى منزل سمير عند الساعة الثامنة والربع، وكما تعلم فأنت بحاجة إلى عشر دقائق للوصول».

«لقد ذهبتُ إلى دكان البقالة -الوحيد على ذلك الطريق- أولًا، وبالإمكان أن تتأكد من البائع، ومن كاميرة المراقبة الموجودة فيها».

«سوف نتأكد، وكم مكثتَ داخل منزل سمير؟»

«أقلّ من دقيقة، فما أن شاهدت سيارة سعاد حتى رحلت، فأنا لا أحب أن أزعجه وقت الرسم، ولقد ذكرت لك سابقًا بأنه لا يحب أن يكون عنده أي أحد عندما يكون لديه زبون».

«ولماذا استدعاك إذن في الوقت الذي سيكون لديه زبون؟ هل وجهت له هذا الاستفسار؟»

«لا لم أوجه له هذا السؤال، فلربما نسي أمر الزبون، فهذه ليست المرة الأولى التي يستدعيني وينسى بأن معه زبون».

«حسنًا، سوف نتأكد من بعض الأمور التي ذكرتَها –وتحدّث بعينين نصف مغمضتين- اشرح لي كل ما حدث يوم الجريمة،

من لحظة دخولك حتى الاتصال بالشرطة».

تنهّد ناصر بعمق: «لقد اتصل بي سمير عند العاشرة مساءً، وقد أخبرني بأنّ هناك من مات عنده وقد كان في غاية الهلع، وعلى الفور ذهبتُ إلى منزله، وقد دخلت إلى منزله عند العاشرة والنصف مساءً، وعندما رأيت الجثة مسجاة على الأريكة أخبرته بضرورة أن يتصل بالشرطة، ولكنّه خاف أن يتم اتهامه بقتلها، وقد أقنعني -وبإصرار منه- أن أصمم مسرحاً للجريمة يكون في الغابة، وكل ذلك حتى يبعد الشبهات عنه، وقد صممته، وقد رأيتموه أنتم عندما اتصلنا لطلب المساعدة».

«ألم تلاحظ أي أداة للجريمة هناك؟ أعني ذلك الأصيص هل كان قريب لمسرح الجريمة؟»

«كان بعيدًا بعض الشيء، حتى إنّ سميراً أخبرني بأن أتفحصه ما إذا كانت عليه قطرات من دماء الضحية».

«هذا جيد، هل تظن بأنّ سميراً هو القاتل؟»

شعر ناصر بشيء من الراحة عندما أحسّ بأنّ المحقق ليث بدأ يشك بسمير بدلًا منه، وتحدّث لكي يعزز موقفه: «سأخبرك بشيء قد يكون غريباً نوعًا ما، ولكن أظنّ بأنّ له صلة بما حدث».

«تفضل يا ناصر، كلّي آذان صاغية».

تنهّد بعمق: «قبل يوم الجريمة بثلاثة أيام، كنتُ مع سمير في منزله، وقد طرح موضوعاً غريباً بعض الشيء، فقد كان

يتحدث عن الجانب المظلم للشخصية، وقد تعجبتُ من جانبه المظلم أو من شخصيته الفرعية، فقد كان يخبرني بأنّه يريد أن يرسم جثة لشخص مقتول مضرج بدمائه، وقد دُهشت من هذه الشخصية الفرعية لشخص مثل سمير».

ابتسم المحقق ليث: «لا تعجب يا ناصر، فللنفوس أسرار لا يعلمها إلا خالقها، وهذه الشخصية المظلمة قد تكون عند الغالبية، ولكنّهم يخشون إظهارها بسبب بعض الروادع –وتحدّث بريبة- وماذا عنك أنت؟ ماذا تخفي في شخصيتك المظلمة؟»

ارتبكَ ناصر، وتحدّث بغموض: «ليس لديّ شيء واضح».

«لا بأس، أظنّ بأنّي علمت ما هو –ابتسمَ وأضاف- فأنت تحاول أن تخبرني بأنّه قد قتل سعاد من أجل أن يرسمها».

«ربما، فهو كان يفكر في فرصة لرسم مثل هذه الجثة».

«وربما جاءته هدية من أحدٍ ما».

رعشت يد ناصر، ولم ينبس ببنت شفة..

تحدّث المحقق ليث بصورة رسمية: «سوف يتم النظر في أمرك يا ناصر، فأنت خرقتَ القانون، وعليك أن تبقى في قاعة الانتظار حتى ننظر في أمرك».

خرج ناصر وهو منكس رأسه، وقد شعر بأنّ كل ما حوله يدور، فقد أصبح خارقاً للقانون الذي من المفترض أن يحميه..

ما أن خرج ناصر حتى أخذ المحقق ليث الهاتف واتصل

بالشرطي المناوب، وأخبره بوجوب أن يتأكد من وجود ناصر في البقالة وفي الوقت الذي ذكره، وكذلك أخذ صورة هشام والذهاب إلى المباني التي زارها، والتأكد من حرَّاسها أنّ هشاماً قد زارها بالفعل.

***

بعد ربع ساعة...

دخل الشرطي إلى مكتب المحقق ليث ومعه البستاني الذي بانت على وجهه علامات الرعب والهلع، وفي الحال طلب منه المحقق ليث بالجلوس..

جلس البستاني وما زالت علامات الرعب والهلع واضحة عليه، تحدّث المحقق ليث بكل هدوء: «لا تخف يا حاج، نحن هنا للتأكد من بعض الأمور».

أشار البستاني بالإيجاب دون أن ينطق بأي كلمة.

«لماذا ذهبتَ إلى منزل سمير بالأمس؟»

رعشت لحية الحاج أحمد، وتحدّث بتلبّك: «لقد اتصل بي سمير».

«كيف اتصل بك وهو في السجن؟»

«هو لم يتصل بالأمس، بل قبل ذلك –تنهّد بعمق- لا أعلم يا سيدي المحقق، ولكنّه اتصل، وعلى ما أظن عند الثامنة مساءً أو قبلها بقليل، لقد اتصل بي على ما أعتقد».

«لا بأس، وبالنسبة ليوم الجريمة، هل أوقفت سيارتك على

مسافة بعيدة عن منزل سمير أم قريبة؟».

«أظن بأنّي أوقفتها على مسافة 200 متر تقريبًا، فقد أوقفتها عند شجرة النخيل الطويلة جدًا».

تذكّر المحقق ليث تلك النخلة، وهزّ رأسه بالإيجاب: «وهل دخلت يوم الجريمة منزل سمير لسقاية الأشجار الداخلية؟»

تحدث وقد بانت عليه علامات الرعب: «لا، فقد كانت هناك جثة مرعبة، وقد خفتُ منها».

ابتسم المحقق ليث، واستدعى الشرطي لأخذ الحاج إلى قاعة الانتظار، فقد شعر بأنّه اقترب من حل القضية..

بعد ساعة، كان تقرير كاميرة البقالة والمباني جاهزاً أمامه، نظر المحقق ليث وهو يبتسم ابتسامة النصر، وعلى الفور استدعى الشرطي ليحضر جميع المشتبه بهم للتحقيق..

21

القصة الحقيقية

مكتب التحقيق/ الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. . .

تبادل الجميع نظرات الدهشة، فهم لم يعلموا لماذا عُقدَ هذا الاجتماع الغريب؟ كان ناصر ينظر إلى سمير بغضب لأنّه اعترف عليه بخصوص تصميم مسرح الجريمة، وكانت نظرات الحقد متبادلة بين هشام وسمير بسبب سعاد، والبستاني كانت الدماء تغلي في عروقه بعد رؤيته لسمير الذي أقاله من العمل عنده.

نظر المحقق ليث إلى الجميع، وقد شعر بالحقد المتبادل بينهم. تحدّث بكل هدوء وبصورة رسمية: «أنا أعلم بأنّكم متعجبون من وجودكم هنا جميعًا، فأنا استدعيتكم لأعرّفكم بالقاتل الذي ارتكب جريمة قتل السيدة سعاد -تنهّد بعمق- أتمنى ألا يقاطعني أحد».

هز الجميع رؤوسهم، وما زالت الدهشة وأمارات الخوف بارزة على وجوههم. .

تحدّث المحقق ليث وكأنّه يسرد قصة: «لقد تمّ استدعاء الشرطة واستدعائي لوجود جريمة في الغابة، وكانت الضحية السيدة سعاد، وعندما توجهتُ إلى الغابة للتعرف على مسرح الجريمة تبيّن بأنّ هناك أمرًا غريباً، فالمسرح تمّ إعداده بصورة غريبة وليس كمسرح جريمة عشوائية، وهذا الذي جعلني أشك في بادئ الأمر بأنّنا أمام مجرم محترف إذا صحّ التعبير، ولكن

بعد التحقيق اتضحت مجموعة من الأمور، وأهمها بأنّ الجريمة لم تحدث في الغابة، وإنّما في منزل سمير».

توجهت الأنظار ناحية سمير، الذي بدا مرتبكاً من تلك النظرات الحاقدة..

استطرد المحقق ليث: «لقد قام المجرم بجريمة قتل ذكية وغامضة بعض الشيء، وسوف أخبركم بما حدث حسب أقوال سمير-فركَ شاربه- لقد دخلت السيدة سعاد إلى منزل سمير عند الساعة السابعة وخمسٍ وأربعين دقيقة، وباشر سمير في رسمها، حيث كان يرسمها بصورة أسبوعية. وعندما انتهت بعض الألوان ذهب لإحضار المزيد منها من المخزن، وفي هذه الأثناء دخل المجرم وقتل سعاد، وقد أكّد البستاني أحمد – الذي يعاني من التوهم- الموضوع، وهو أنّ هناك جثة مضرجة بدمائها ويقف بجانبها شخص، ولم يميز الجثة ولا الشخص الموجود، وعندما عاد سمير من المخزن وجد السيدة سعاد ملقاة على الأرض والدماء تنزف من رأسها وقد تفاجأ، وعندما تحسّس النبض تبيّن بأنّها ميتة، وبدل أن يتصل بالشرطة قام بوضعها على الأريكة، وبرسمها كلوحة فنية مرعبة يكون لها شهرتها..

قاطعه هشام وهو يصرخ بأعلى صوته: «أيّها المجرم، هل تريد التكسب من وراء جثة زوجتي؟»

شعر المحقق ليث بعصبية هشام، وتحدّث بهدوء: «أرجو ألا يقاطعني أحد -استطردَ المحقق ليث قائلاً- وبعد أن انتهى من رسمها اتصل بناصر لكي يساعده في حل مشكلة الجثة

الموجودة. وعندما ذهب ناصر إلى منزل سمير ورأى الجثة أخبرهُ بضرورة أن يتصل بالشرطة، ولكنّ سميراً أقنعه بأن يصمم مسرحَ جريمة في الغابة ويشتت مجرى التحقيق، لأنّه كان خائفًا بأن يتم اتهامه بقتل السيدة سعاد، وبعدها تمّ استدعاء الشرطة واستدعائي للتحقيق».

توجهت الأنظار ناحية ناصر الذي نكّس رأسه، وكان هناك تساؤل عن شخصية المجرم..

تحدّث المحقق ليث بحماس: «هذه القصة التي أخبرنا بها سمير، وذلك لكي نتعرف على القاتل المبهم الذي دخل أثناء رسمه لسعاد، وفي الواقع هناك ثلاثة دخلوا إلى حديقة منزل سمير، وهم: البستاني للمراقبة، وهشام أيضًا للمراقبة، وناصر الذي يقول بأنّ سميراً استدعاه يومها لزيارته عند الساعة الثامنة والنصف، وبعد أن تعرّفنا على من دخل إلى حديقة منزل سمير، قمنا بتفتيش منزل سمير للتعرف على أداة الجريمة، وبعد التفتيش تبيّن أنّ أداة الجريمة هي أصيص غريب الشكل، وكانت عليه بصمة ناصر فقط».

ساد الصمت أرجاء المكان..

أكملَ المحقق ليث: «لقد كان المجرم يريد لنا أن نتهم ناصراً بما حدث ويفر هو من العقاب، ولكن هناك أخطاء ارتكبها وأدّت إلى التعرف عليه، ولكي أكون واضحًا معكم سأخبركم بالقصة الحقيقية -تنهّد بصورة مطولة- لقد اتصل سمير بناصر في ذلك اليوم وأخبره بأن يأتي إلى منزله عند الساعة الثامنة والنصف، وبعدها قام بالاتصال بالحاج أحمد

(البستاني)- الذي يعلم بأنه يعاني من التوهم- وأخبره بأن يذهب للمراقبة لأنّ السيدة سعاد ستكون موجودة في المنزل عند الثامنة والنصف، وطبعًا اتصل به على هاتفه الأرضي وقام بتغيير صوته كيلا يتعرف الحاج أحمد على المتصل، طبعًا قد تتعجّبون من هذه الاتصالات، ولكن كانت هذه الحركة من ضمن الخطة البديلة إذا صح التعبير-ابتسم بغموض- فقد كان يخطط بأن يحضر ناصرٌ عند الثامنة والنصف وذلك لكي يورطه في جريمة قتل السيدة سعاد التي كان ينوي أن يرتكبها في الوقت ذاته».

تحدث سمير بتلعثم: «ما الذي تقوله يا سيدي المحقق؟! أنا لم أرتكب أي جريمة، لقد قلتَ أنت للتو بأنّ بصمة ناصر موجودة على الأصيص».

«هذا الذي كنتَ تخطط له يا سمير، وهو أن نجد بصمة ناصر على الأصيص الذي قتلتَ به سعاد».

ذهلَ الجميع ممّا سمعوه، وبالأخص ناصر الذي شعر بأنّه لم يفهم شيئاً..

تحدّث ليث بهدوء: «لقد خطط سمير لقتل سعاد في ذلك اليوم، ولهذا قرر أن يضع خطتين تكونان محكمتين، بحيث يجعل من ناصر كبشاً للفداء إذا صحّ التعبير، فالخطة الأولى كانت تقضي بأن يقتل سعاد، وبعدها يصمم هو وناصر المسرح في الغابة، وفي حال لم نتعرف على المجرم ينتهي الأمر. أمّا الخطة الثانية فكانت خطة بديلة، ففي حال تعرّفنا بأنّ الجريمة حدثت في منزله، كان يريد منّا أن نتهم ناصراً بما حدث».

تحدّث ناصر وهو ما يزال غير مدرك لما حدث: «كيف؟»

استطردَ المحقق ليث: «عندما تعرّفنا على أنّ الجريمة حدثت في منزل سمير، - طبعًا بسبب القلادة التي في الغالب سقطت أثناء نقلكما لجثتها إلى الغابة- قام سمير باستخدام الخطة البديلة، والتي تقضي بأن تكون أنتَ المجرم، ولكي أوضح الأمر أكثر، فقد أخبرنا بعد التحقيق معه بأنّ المجرم دخل أثناء انشغاله في المخزن، وهذا بطبيعة الحال سيدفعنا إلى التعرف على كل من دخل منزله في ذلك اليوم، ومن خلال كاميرة المراقبة عرفنا بأنّك مررت في ذلك الشارع وكذلك مرّ هشام، وبعد أن تحققنا من أداة الجريمة كانت بصمتك أنت موجودة عليها، وهذا كله لأنّه يريد أن تكون أنت المجرم يا ناصر».

فتح ناصر عينيه على اتساعهما: «ولهذا السبب أخبرني يوم الجريمة بضرورة تفحص الأصيص!».

ابتسمَ المحقق ليث: «أجل، صحيح بأنه قام بتنظيف الأصيص بعد أن قام بجريمته ولكنه كان يعلم بأن فريق البحث الجنائي سيكتشف آثار الدم حتى بعد مسحها، وبعدها سنكتشف بصمتك يا ناصر، فقد رسم مسرحاً لجريمته تكون أنتَ المجرم فيه في حال اكتشفنا أنّ الجريمة حدثت في منزله».

صرخ سمير: «هذا كذب، فقد دخلَ أحدهم وقتل سعاد، وهو ناصر، فقد كانت بصمته موجودة».

«ولماذا بصمتكَ غير موجودة يا سمير؟»

«أنا لم ألمس الأصيص».

«ولكنّك غيرت مكانه».

غفل سمير عن ذلك، وتحدّث بتلعثم: «كنتُ ألبس القفازات».

«متى حدثت الجريمة يا سمير؟»

«الثامنة والنصف تقريبًا، وأنتَ قلت بأنّ هناك من دخل منزلي حينها».

«أجل، دخل هشام عند الثامنة، وعندما رأى بأنّ الأمور طبيعية رحل عند الثامنة والربع، والبستاني شاهد جثة سعاد أي بعد الثامنة والنصف».

تحدّث سمير بحماس: «إذن هو ناصر، أليست بصمته هي الموجودة؟ فكيف لا تتّهمه؟ هل لأنّه معكم في قسم التحقيق؟»

ابتسم المحقق ليث: «ناصر كان في دكان البقالة وقت حدوث الجريمة يا سمير».

فتح سمير عينيه على اتساعهما، ولم ينبس ببنت شفة.

تحدّث المحقق ليث بصرامة: «لا مجال للمراوغة يا سمير، فأنت من قتل سعاد».

تحدّث سمير بهدوء وغموض، وقد علت وجهه ابتسامة ساخرة: «لقد كانت تستحق الموت، فهي رفضتني في السابق بسبب فقري، وعندما صرتُ فنانًا معروفًا جاءت تتودد إليّ.

لقد كنت أحقد عليها كل يوم، وقد خططتُ لكي أقتلها في آخر يوم لها في منزلي، وفي ذلك اليوم عند الثامنة والنصف أخبرتها بأنّي قد انتهيت من الرسمة، وطلبتُ منها أن تلقي نظرة عليها، وبعدها وعلى غفلة منها قمتُ بضربها بالأصيص من الخلف -طبعاً كنت أضع القفازات-، وبعد ذلك وضعتُها على الأريكة، وذلك لكي أخرج بلوحة جثّتها التي سأسمّيها (لوحة الموت)، وهي ستعتبر من اللوحات المرعبة، والتي ستكون منافسة للوحة الموناليزا». وضحك بصورة هستيرية.

تحدّث المحقق ليث بغضب: «لا أظن بأنّ هناك من سيهتم بلوحة فنان قاتل، لقد قمتَ بتحقيق هدفك الدنيء من خلال قتلك لتلك السيدة البريئة، فكيف لأي شخص لديه أخلاق أن يشتري مثل تلك اللوحة؟».

صمت سمير، ولم ينبس ببنت شفة..

تحدّث ناصر إلى سمير بحزن: «لماذا فعلتَ كل هذا يا سمير؟ لماذا كنتَ تريد أن يتم اتهامي بقتل سعاد؟ ألستُ صديقك؟»

صمتَ سمير لبرهة من الزمن وتحدث بصورة غريبة: «لقد صممتُ مسرحي الخاص بي قبلكَ يا ناصر، فقد حققتُ جانبي وجانبكَ المظلم بذلك، وعليك أن تشكرني». وضحكَ بصورة غريبة.

شعر ناصر بأنّ سميراً بدأ يفقد عقله، ولم يرد عليه أو يجيب..

استدعى المحقق ليث الشرطي، وطلب منه أن يأخذ سميراً إلى السجن لينتظر محاكمته، وبعدها طلب من البستاني الانصراف.

نظر المحقق ليث إلى هشام: «سوف يتم إنزال أقصى العقوبات على قاتل زوجتك».

«شكرًا يا سيدي المحقق».

تحدّث المحقق ليث وهو يبتسم: «لقد عرفنا أين كنت في ذلك اليوم، فبعد مغادرتك لمنزل سمير ذهبتَ إلى زوجتك الثانية في أحد المباني القريبة من هناك».

تعجّب هشام ممّا سمعه، وتحدّث بتلعثم: «لم أرد أن أخبركم بأنّ زوجتي الثانية تسكن في أحد المباني القريبة من تلك المنطقة، فقد خشيتُ أن يزيد هذا الأمر في اتهامي، وتفهموا بأنّي أردت التخلص من سعاد من أجل أن أقضي حياتي مع زوجتي الثانية».

«لا بأس، يمكنكَ الرحيل».

رحلَ هشام بصورة سريعة...

نظر المحقق ليث إلى ناصر: «أمّا أنت يا ناصر، فسوف تتم محاكمتك بسبب تضليل العدالة، وسوف يتم النظر في أمرك».

تحدّث ناصر وهو منكس رأسه: «أنا أستحق ذلك -وتحدّث بتساؤل- لديّ استفسار يا ليث عن الجريمة، لماذا استدعى سمير البستاني؟»

«لقد وضع سمير في خطته الأولى احتمالية بأن الشرطة لن تكتشف بأن الجريمة حدثت في منزله ولهذا كان يتوقع بأننا سنصل إلى نتيجة أن البستاني كان يتوهم وينتهي الأمر، وتنجح خطة مسرح الغابة في عدم التعرف على المجرم، ولكن كانت مهمة البستاني الرئيسية في الخطة البديلة أن يكون شاهد على الجريمة التي كان ينوي سمير أن تتورط فيها أنت يا ناصر، بخاصة إذا اكتشفنا أن الجريمة حدثت في منزل سمير».

«شاهد عليّ أنا، كيف!!»

«أتذكر عندما قال البستاني بأنّك كدت تصطدم به؟ كان ذلك أثناء دخولك إلى منزل سمير، فلو كنت عند سمير في الثامنة والنصف سوف يلاحظك البستاني وأنت تخرج بالسيارة، وتكون أنت حينها في محل الاتهام».

«يا له من مجرم!، لقد خطط لكل شيء، ولهذا استدعاني في ذلك الوقت لأكون مشتبه به!!»

«لقد كان يعلم بأنك سترحل عندما تلاحظ سيارة سعاد، ولهذا السبب كان مطمئنًا بأنك لن تدخل إلى منزله، وينفذ جريمته بكل أريحية، وكان يحتاج فقط إلى من يلاحظك، وكان ذلك دور البستاني».

«يا له من خبيث».

«أظنّ بأنّك حققت جانبك المظلم كذلك يا ناصر من خلال ما فعله سمير».

فتح ناصر عينيه على اتساعهما، وتحدّث بتلبّك: «أجل يا

ليث، ولكن كيف عرفت؟».

«لأنّك ذهبت إليه وأنت متجهز بصورة كاملة، من ملابس ومرهم للحشرات وغيرها من أمور كنتَ تحتاجها لمسرح الجريمة المعدّ في الغابة -تحدّث بصرامة- أتمنى ألا تُخرج هذا الجانب مرة أخرى يا ناصر، والآن سوف تذهب مع الشرطي إلى السجن حتى يتم إصدار الحكم عليك».

لم ينبس ناصر ببنت شفة..

استدعى المحقق ليث الشرطي لأخذ ناصر، وبعد أن دخل الشرطي رحلَ ناصر معه بكل هدوء.

توجّه المحقق ليث ناحية النافذة، وقال كلمته المعروفة عند انتهائه من كل تحقيق: «لابدّ للحق أن ينتصر».

انتهى

لوحة الموت

يتم الاتصال بالمحقق ليث لوجود جثة السيدة سعاد في الغابة.. وبعد التحقيق يتبين بأن الجريمة حدثت في منزل الفنان غريب الاطوار سمير.. تتعقد الأحداث حول معرفة شخصية القاتل الحقيقي.. وفي النهاية يتوصل المحقق ليث لخطة المجرم التي كانت في غاية الذكاء.

من الذي قتل السيدة سعاد؟

وما قصة مسرح الجريمة في الغابة؟

وما هو سر لوحة الموت؟

محمد منصور سرحان

ضائر
t.me/twinklingy

ISBN 978-9921-739-54-1
9 789921 739541

بوك لاند للنشر والتوزيع
BOOKLAND

booklandkw bookland.kw www.booklandkw.com